التجاني يوسف بشير

السفر الأول

الآثار النثرية الكاملة

التيجاني يوسف بشير

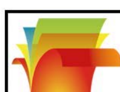
السفر الأول

الآثار النثرية الكاملة

جمعه واعده للنشر
الاستاذ بكرى بشير الكتيابى
تقديم وحواشي
الدكتور محمد عبد الحى

شركة مطابع راى (ليمتد)

١٩٧٨



تحقيق الآثار النثرية الكاملة
للتيجانى يوسف بشير

بقلم محمد عبدالحى

قال الشاعر الامريكى ت.س. اليوت مرة : « ان للشاعر عندما يتكلم او يكتب عن الشعر مميزات معينة او جوانب قصور معينة . فمحاولات الشعراء فى النقد تدين ، لحد بعيد ، فى اهميتها الى ان الشاعر يحاول فيها دائما ، عامدا او غير عامد ان يدافع عن الطريقة التى يكتب بها الشعر (. . .) انه يرى شعر الماضى خلال علاقته بشعره هو (. . .) وباختصار ، ان ما يكتبه عن الشعر يجب ان ينظر اليه فى صلته بالشعر الذى يكتبه . »

وقد نقول ان شعر الشاعر ونثره نهجان لنشاط روحى وعصبى وذهنى واحد ومتصل ، وان الشاعر « كل متكامل » فى سلوكه وتفكيره وتعبيره دون ان ننكر ان سويعات الهزة الشعرية قد تتخطى كل ما قد يستنه النثر الناقد من قوانين واعراف وتتفوق عليها ، وان كل قصيدة جديدة هى اضاءة روحية وفكرية ، جديدة . حقا ان الشاعر ربما ينقض ما كان اثبته ذات يوم ، فيخرج بذلك بعض مؤرخى الادب ، وقد يخيب امر بعض

حواريه فيه ، وقد يتأتي له حواريون وقراء جدد · ولا يفعل ذلك غالبا ، الا الشاعر المتجدد المكتشف · وغالبا ما يثبت النقاد والقراء المتنبهون لذلك الشاعر نوعا من الحبكة العميقة او الوحدة الباطنة التى تنصهر فيها مظاهر التعدد والتشاكل · وقد قال الشاعر الانجليزى و·هـ· اودن ان اراء الكاتب ، اى كاتب،هى غالبا مظاهر حواره مع نفسه عما عليه ان يفعل في مقبل ايامه وما عليه ان يتجنب · فالشاعر عنده « ناقد لا يحفل بغير كاتب واحد (هو نفسه) ولا يهتم الا باعمال لم توجد بعد (هي قصائده) · » وفى هذا ، كما لا يخفى حق ضيق ·

وقد كان التيجانى على وعى بالصلة بين شعره ونثره · ففيما كتب من نثر دفاع عن ذلك الشعر ، وسند له ، وخلاصة لحواره مع نفسه حوله · وفيه جهد لا يني لاستخلاص تلك المادة المشعة التى تبقى فى قعر البوتقه بعد احتراق الشوائب التى لابستها وتبخرها ، ولا يخلو من شيء من التبرير والتفسير مع نوع خفى من « ترجمة » القصائد من لغة الشعر الى لغة النثر · ولا بد انه ارغم على ذلك حينما اتهم في بعض شعره بالغموض ذلك الامر الذي اسيء فهمه والذى اكتشف التيجانى انه ليس هنة بل عنصر جمال فى الشعر ، ونتاجاً لكل تأسيس شعرى تعجم به الكلمات في ارض بكر ومواقف جديدة ، فيخرج على علائق اللغة اليومية المستهلكة التى فقدت قدرتها على الايحاء من طول ما تداولت الالسن ، ليكتشف الصلات الخفية التى تجمع بين الاشياء والاشكال العميقة للمعاناة الشعرية للوجود الانسانى ، جاعلا بذلك من الشعر ـ هذا « الفن السحرى » بتعبيره ـ امتدادا للعالم ومعمقا وخالقا له خلقا جديدا (ويفجر لك الغيوب . وينشر بين عينيك عالما من ذخائر/فتخير وصف وصور رؤى

الوحى وصغواصنع الوجود المغاير) ·

نعود أنى ما تركنا - فلست اريد ان اخرج بهذه الكلمة من نطاق التوثيق لنثر التيجانى الى مجال الدراسة له ·

قلت ان التيجانى جعل من نثره شندا وحاشية لشعره · ومثال ذلك ما كتبه فى (محمد عبد الرحيم : المؤرخ الذى صنعته الثورة) وتكاد مقدمته تكون ترجمة لقصيدة (رسول التاريخ)

كان غيبا عنا فمن ذا ابانه احرز الخلد من أصاب رهانه
ان من نشر الزمان على الكو ن باقداره طواه فصانه
لف احداثه عليه عصورا موجزات بـ مره سبحانه
ثم نادى بها فعجت وماجت حلما يجهل الزمان مكانه
يتع الوهم دون اغواره السو د ويقعى فما يصيب عيانه
كلما حوم الخيال حواليـ ـه رأى غيمه ولاقى عنانه
ثم لما تاذن الله بالبعـ ـث قضى ان يكون «فجرا» فكانه
شق سر «التاريخ» منه فضحى صورا تلهم اليراع بيانه
يا لأعمارنا القصار اذا لم نتقحم بفكرنا ميدانه · الخ

يقـــول : -

« لكانت السماء يومئذ حريصة على تاريخ الارض من الضياع والانقطاع فى بلد كالسودان يغلى ملء افاقه بالثورة ويطفح بالقلاقل ولكانت الحياة احرص على سلسلة حوادثه وبقائها بعيدة عن الانفصال والانقسام متصلة مع كل حوادث الكون وحلقات تاريخه المنظم · وان فى حرصها هذا لمعنى حرصها على خلود عملها

★ لما راينا التيجانى فى مقالاته المنشورة فى مجلة (الفجر) وفي مجلة (امدرمان) كمحرر لها . وفى صدر مخطوطة ديوانه (اشراقة) يكتب اسمه باثبات الياء بعد التاء اثبتناه هنا برسمه الذى اراده هو له ·

واســتمراره بــلا انقطــاع في مكان مــن التــاريخ وزمــان من الفكــر ٠ اذ اي معنــى يبقى للعصــر فى حــادثه بعينها او للحــادثه فى عصــر بعينــه ان ذهبــت بهــا في اهــواء العــدم عمــره السيان والصــمت ، بــل اي معنــى يبقى لجهــود إســماء فى مــا صنعــت للحــون وبــرت لــه (٠ ٠ ٠) ان كــان مصيــر كــل ذلــك الى الامحــاء حتى مــن صفحــه التاريخ ؟ الــخ ٠٠٠٠ »

ومثال اخر يقول التجاني في مقالته : « في سبيل التعارف الادبي بين مصر والسودان » انه :

« ان جهلــت مصــر ما بينهــا وبين الســودان مــن علائــق اخــرى جديــرة باهتمامها غيــر ما لها من علائــق ســياسية بــ « ســودانها العزيز » فنحــن ما نــزال مقدريــن لهذه العلائــق مكبريــن مصــر وما يربطنــا بهــا من منــازع الثقــافة واثــر التفكير المصري الذي سيظل خالدا في تاريخ ادبنا الحديث ٠ »

« خيــر لنــا ولمصر الادبيــة ان نعني بهذه الروابــط وان نوفــق بين هذين البلدين وشائج المعرفة الادبية الصحيحة (٠ ٠ ٠) اما مصر السياسية فليس لدينا ما نقوله لها اليوم او غدا او بعد غد ٠ »

يا بن مصر وعنــدنا لــك ما نــ	ـل تبليغه من الخير مصرا
قل لها في صراحة الحق والحق	بأن يؤثر الصراحة احرى
ونقي من علائق الادب البــــا	قي ولا تحفلي باشياء أخرى
وقفي بالصلات من حيث لا تعـ	ـرف الا مسالك الفكر مجرى

هذا على سبيل المثال لا الحصر ٠

ومقالات التيجاني المنشورة والمذيلة باسمه ظهــرت ، في السودان (في ملتقى النهرين) وفي مجلة « الفجــر » وفي مجلة « امدرمــان » وفي مصر ، في مجلة « الرسالة » ــ والتفاصيــل الببليوغرافية لهــا

مثبتة فى حواشى هذا الكتاب · وفى ما كتبه « فى المستوى الشعرى عند الامم » اعلن انه سيقوم ، تطبيقا لمنهج فى نقد الشعر العربى القديم أوضحه ، « بدراسة شاعر او شاعرين على اكثر تقدير » · ولم نعثر له فى ما بين ايدينا من مصادر على دراسة من هذا النوع · ويبدو ان المنية لم تمهله لينجز ما كان يطمح اليه ·

ولكن : هل المقالات المنشورة والمذيلة باسمه ، هى كل ما كتب التيجانى من نثر ؟ ·

لقد شاع لوقت ان للتيجانى يدا فى ما نشر المؤرخ السودانى الاول محمد عبد الرحيم عن الشعر العربى فى السودان فى الجزء الاول من كتابه « نفثات اليراع فى الادب والتاريخ والاجتماع » ، الصادر فى الخرطوم عام ١٩٣٦ م · وكنت قد تفرغت لدراسة نثر وتاملت فى فصوله الاربعة مليا · وكنت كلما تجنبت ان اصل التيجانى فى صيف عام ١٩٦٣ ، ونظرت فى « نفثات اليراع » ، الى يقين سريع فى امر ما قد يمكن ان يكون نفثة من يراع التيجانى شارك بها فى ذلك السفر ، جذبتنى اصداء تتجاوب فى بعض صفحات الكتاب من بعض ما كتب التيجانى فى مقالاته المنشورة او تداعى صورا فى شعره · ولم تكن من وسيلة احقق بها ما داخلنى من ظن فى وجود صلة بين صوت التيجانى المتفرد فى نثره المعروف ، والصدى فى صفحات كتاب « النفثات » ، الا بدراسة اسلوبية للغة المكتوبة بها تلك الصفحات ومقارنتها باللغة فى مقالات التيجانى قاموسا ، وتركيبا ، وايقاعا وروحا · وسافعل ذلك باختصار شديد ·

(١) نبدأ بمقارنة نصين من كتاب النفثات نفسه · النص الاول من ترجمة المؤلف بقلمه ، فنسبته للمؤلف لا لبس فيها · يقول

« كنت اجد من نفسى ميلا الى العلم وطموحا الى الادب

فجنحت الى الطلب بعد ان تجاوزت الحلقة الثانية من سنى حياتى ، فصرت اقسم وقتى بطريقة متناسبة بين الدرس ومطالعة كتب الادب والتاريخ ذلك خلاف مطالعة الجرائد اليومية والمجلات العلمية ولما انست من نفسى القدرة على التجول في ميدان الخيال ومساجلة علماء الاجتماع فى تقويم الاخلاق وتهذيب النفوس اخذت اراسل الصحف المصرية والسودانية بمقالات ضافية الذيول ٠٠٠

ولما نقلت محاسبا لمركز كتم فى شمال دارفور في اوائل مارس سنة ١٩٣٠ م قام بفكرى ان اكتب سلسلة مقالات بعنوان اقليم دارفور الا انى احجمت عن ارسالها الى الجرائد لكيلا تقرأ وتمزق فتذهب فائدتها

والنص الثانى من الحديث عن الشاعر عبد القادر ابراهيم : ـ

« كتلة من الخيال الجامح القوى المسترسل ، ومجموعة مدهشة من الاحساسات الغريبة المتناسلة فى اغوار النفس ، ومشاعر جياشة مرهفة تسمع دويا للصمت وتحس حركة للسكون ٠ ولقد يخيل الى ان فى نفسه مغاور وكهوفا شديدة الحلكة تستفرغ فيها مشاعره وتكمن فيها اخيلته فان اطارها منه صدرت وفيها هذا الاثر الغريب ٠٠ فانت ما تبرح فى حاجة الى ضوء تقروءه به ٠ ولهذا النوع من الشعر انصاره الكثيرون الذين يروجون له ويدعون اليه وهو يتطلب نفوسا غريبة التكوين مزودة بنوع خاص من الاعصاب مهياة الى تلقى الاثار الخارجية بقدر محدود ٠ »

فى النص الاول اسلوب يجرى دون تعقيد كبير ، هم مؤلفه ان يصل الى غرضه باقرب الطرق المؤدية اليه ، دون عناء فى تخير الفاظه او طبعها بميسم ذاتى ، فهو اسلوب « عام » ، يعبر عن معانيه

بما هو متداول من التعابير ، دون زخرف او سعى لتحقيق صياغة متفردة · كلماته لا تخطف اهتمام القارىء ولا تستوقفه يتأمل فيها « فى حد ذاتها » · وهو ، بعد اسلوب لا يعتمد كثيرا على اللغة المجازية ، فهو تقريرى قد يسلس دون احكام متميز وقد ينخفض دون اسفاف وفساد ·

ومى اسلوب النص الثانى ، تكاد اللغة ان تكون مجازا محضا ، فهى لغة « ايمائية » ، كثيفة الظلال ، تتدافع فيها الكلمات وتعتنق وتزدحم ، فى تعابير وجمل مترزة ، دقيقة النقش ، متخيرة الالفاظ ، متفردة الصياغة لها ايقاعها الخاص، تستجمع فى نفسها نَفَس كاتبها وكأنها مقتطعة من ذاته اقتطاعا ، فهى لغة « ذاتية » لا رضوخ فيها للمستهلك من التعابير والمتداول من الكلمات ·

ولا تجتمع هاتان اللغتان فى كاتب واحد فى كتاب واحد ·

(٢) هذا ولنقارن الان اسلوب النص الثانى ببعض ما كتبه التيجانى فى مقالاته المنشورة فى المجلات الادبية · يقول فى ما كتبه عن « الاثار الشعرية المبهمة » :

وحتى الحديث فى هذا لا يكاد يخلو من عوارض الابهام لما يتمتع به من مغاور وانفاق فى مساع لاحساسات القصية التى تعيش فى ظلام النفس بعيدة عن سيطرة هذا الفكر الذى يحد من نمائها ويبدد من كثرتها كلما وقعت تحته او عليه او اتصل بها ضوء منه (··) والحق ان ليس اعجب من هذا الحس البشرى الخبىء تكمن فيه التأثيرات المتباينة لشتى المشاهد والمناظر والقرارات فيكون لكل منها مخازن واغوار وثقوب واعشاش يستفرخ فيها ويجنح ثم ما يزال يضرب باجنحته جوانب النفس حتى يضرم فيها اشواقا لا تبردها قراءة الفكر ولا يكسر

مـن حدتها شيء ٠ »

الاغوار النفسية وشعبها الخفية التي تفرخ في ظلامها طيور الشعر المبهمة هي هي في النصين المتشابهين اسلوبا وغرضا وكانهما فلقتا بويضة فكرية واحدة اصابهما « لقاح سحري » واحد ، فهما من سنخ واحد ٠

(٣) ان كلمات وتعابير مثل « مغاور النفس المظلمة » و « اعصاب » و « يستفرخ » و « دوي السكون » و « همس الصمت » ، هي من قاموس التيجاني في نثره ، بل وفي شعره ايضا ٠ وامثلة ذلك كثيرة ، منها ، في حديثه عن « مجرى التفكير في الشعر » : ـ

« ظلام العواطف المتراكبة المتداخلة »

« هذه النفوس الواسعة العميقة »

« هذا الفن المسحور متعدد بقدر ما عندنا من عواطف واعصاب وبقدر ما في عواطفنا واعصابنا من تراكيب ٠ »

وفي حديثه عن « الاثار الشعرية المبهمة » : ـ

« وفتح اغلاق نفسه يستقبل ما ينهمر عليها من صيبه السحري »

« تزحم عليك نفسك ثم لا تلبث ان تبني في كل خلية من اعصابك هيكلا سحريا عجيبا تملؤه الخيالات وتعمره احلام الشعر ٠ »

« وتنبيه للمشاعر الشريفة في الاعصاب » ، « ويختزنه في مخه ملفوفا بغواشي ظلام خيالي لايمكنه من استيضاح كل ما هنالك ولكنه (٠٠٠) يطل به في ثقوب نفسية مبهمة الصور الا قليلا مما يتلمح منها من ضياء الذكرى ٠ »

« ويقصرون جهودهم على استقطاره من بين حنايا انفسهم الزاخرة بالوساوس والاحلام ٠ »

وفي ما كتبه عن المشكلة « بين الناقد والشاعر ٠ » :

« وتناصرت العواطف والاعصاب »

« ثقافته التى تخلقه خلقا جديدا · فكرا وذوقا واعصابا »

وفى قصيدته «فى الموحى» يقول عن الساعة التى ينقطع فيها للشعر

جوهـا المعبدى يعمره الصمـ ـت بهمس من الوساوس فاتر

ويفـور السكون فيـه ويـدوى كـدوى الظنـون فى قلب حائـر

(٤)واذا تركنا الصوت وهلة ، ورجعنا للصدى فى « النفثات » ، تاكدت لنا الصـلة الوثيقـة بين هذه النصـوص · ففى ما كتـب فى « النفثات » عن عبد الرحمن شوقى ، نلقى مسـالك للحس ، وفجوات للنفس غائرة « ومغاور لدنيا القلـب . لا تختلـف عما تمثلنا لـه فيما سبق · والنص كالاتى :ـ

ومـن الشـعر ما يقـرا لـك نفسه حتى لكـان صـوتا جهيرا يبعث بـه فى مسـالك الحس المرهـف ، ويتـردد به فى فجـوات النفس الغائـرة مدويـا كانمـا يقـذف بـه فى مضـارب الافـق ، على حيـن لـم يصدم بـه سـمع ولم يجـر بـه لسـان · ومـا يـزال بالواقـف لديه يملأ عليـه مـن اللـذة أنفاسه ويزحم عليـه مـن النعيم راسـه ، حتى ينحصر بكليتـه فى اعماقـه وينكـمش بحواسـه فى مغـاور دنيـا قلبـه وعالـم روحـه · »

ثم ان تعبير « مغاور دنيـا قلبه وعـالم روحـه » قريب جدا من قـول التيجانى فى قصيدته « ودعت أمس يقينى » :

تكسرت شمس دنيا القلب وانطفات من عالم الروح فى نفسى المصابيح

(٥) وهناك الشبه فى الروح والفكر بين بعض ما جاء فى النفثات وبعض ما قاله التيجانى فى مقالاته · مثلا فكرة التيجانى عن غرابـة سايكلوجية الشاعر الرومانتيكى وتأثير تركيبه النفسى على هيئتـه البدنية · فالشعر الذى يتطلب نفوسا غريبة الوضـع غريبة التكوين مزودة بنوع خاص من الاعصاب مهيأة الى تلقى الاثار الخارجية بقدر

محدود . له تاثيره على مظهر شاعره . كما جاء في الحديث عن محمود انيس : ـ

« هو من اولئك الذين يسر اليك مظهرهم انهم من ذلك النوع الممتاز في تركيبه عصبا واهواء وامزجة واحساسا (٠ ٠ ٠) فترى الواحد من هؤلاء (٠ ٠ ٠) فينقل الى روحك احساس عميق بانه فيلسوف او شاعر او فنان او ما الى هذا . ثم لا تكون قد ابعدت بحدسك عن امره (٠ ٠ ٠) ولعل السر في هذا ان المظهر الوجداني في الشاعر يكيف ملامح وجهه بظلال من الشعر ٠ »

يقول التيجاني في مقالته « الاثار الشعرية المبهمة » ان : ـ

« قيمة هذه الاثار في تكوين النفس وعملها في مجموعة الصفات الفردية شيء تلمسه لمسا اول ما تتصل باحد هؤلاء الذين يستكثرون لانفسهم ان قراءة هذا النوع ويقصرون جهودهم على استقطارة من بين حنايا انفسهم الزاخرة بالوساوس ٠ »

من ذلك النوع الخاص من الشعر الذى يحرص عليه ذلك النوع الخاص من الشعراء ، ينبعث : ـ

« تغيير هام في مجموعة الصفات والاخلاق ، وشذوذ انساني عجيب في تكوينهم النفسي لا اصل له ما تدفع في مغاور شعورهم هذه الاثار الشعرية المبهمة ٠ »

والشبه بين هذه النصوص واضح في الفكرة والاسلوب والقاموس ٠

المقارنة الاسلوبية تكشف ، من جهة ، عن الاختلاف بين لغة الكتاب ولغة الباب الخامس عشر منه ، وتظهر ، من جهة اخرى الانسجام بين لغة الباب المعني وبين نثر التيجاني المعروف ٠ ومن ذلك يمكن ان نستنتج ان الفقرات التى تقدم شعراء العصر فى « نفثات اليراع » كتبها التيجاني يوسف بشير ٠ ان اطالتي في المقارنة والاستدلال ـ

وامل الا اكون قد وصلت بذلك الى حد « بشق الشعرة » ، كما يقول الغربيون – كانت محاولة لتوثيق ما يلمسه القارىء بشعوره ، دون كد و عناء ، توثيقا محكما وترقيمه ترقيما فيه شيء من العلمية ·

وقد يكون المؤرخ قد أعان الشاعر بتاريخ هنا ، أو نسبة هناك ، خاصة فيما يتعلق بشعراء المهدية ، وقد أسقطنا ذلك الجزء فهو فقرات مكتوبة باسلوب اخبارى محايد يختلف عن الاسلوب الذى كتبت به المقدمات النقدية للشعراء المعاصرين ·

ثم ان هناك امرا آخر – غير ما استدللنا به من خصائص فى الاسلوب – يقوى ما استنتجناه · وهو امر تاريخى محض ·

ونبدأ بسؤال : متى كتب محمد عبد الرحيم كتابه « نفثات اليراع »؟ خاتمة الكتاب تقول : انه فى يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ مجب سنة ١٣٥٥ هجرية الموافق ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٦ ميلادية تم بعون الله وتوفيقه طبع الجزء الاول من « كتاب نفثات اليراع فى الادب والتاريخ والاجتماع » · وتقول : « اجل تم طبع هذا المؤلف بعد ان جلت به طويلا على ارباب المطابع بمصر والسودان منذ سنة ١٩٣١ · » ففى تلك السنة ، ١٩٣١ ، كان ، اذن ، الفراغ من الكتاب الذى صدر جزؤه الاول بعد ذلك بخمس سنوات · وقبل الثلاثينات لم يكن الشعر الذى يتكلم عنه التيجانى قد كتب بعد ، فهو شعر رومانتيكى لم يظهر فى السودان الانحو منتصف الثلاثينات · ولا كانت الاسس النقدية التى بنى عليها فصل « الشعر فى هذا العصر » قد اتضحت بعد فى السودان · فواضح ان ذلك الفصل قد كتب ، واضيف الى « النفثات » بعد عام ١٩٣١ · واغلب الظن انه اضيف بعد اقتراح من التيجانى الذى تصدى لتقديم المادة المطلوبة او ربما كلفه محمد عبد الرحيم بالامر ، ويبدو ان ذلك كان فى الفترة التى عمل فيها

التيجاني محررا في « مجلة امدرمان » التي كان يصدرها صاحب السفر ، او حتى قبل ذلك ، وقد صدر العدد الاول منها يوم الثلاثاء ١٥ ديسمبر ١٩٣٦ ، واقيل التيجاني من عمله فيها في ديسمبر ١٩٣٦ ، كما جاء في الاعلان المنشور في العدد السابع منها الصادر في منتصف ذلك الشهر ، وقد جاء فيه ما يلي : « مدير هذه المجلة يعلن مع الاسف اقالة حضرات التيجاني افندي يوسف بشير المحرر بها والشيخ محمد صالح سعيد مندوب المجلة في المديرية الشمالية والشيخ ابراهيم محمد ابي نبوت المحصل اعتبارا من ١٣:١٢:١٩٣٦ » . فلم كانت الاقالة : ابسبب المرض ، مرض التيجاني ، أم لمشاكل تتعلق بالعمل ، ام لسبب اخر ؟ الامر المهم هو ان الفصول المتعلقة بالشعر لم تكن في اصول الكتاب الاولى ، فهي اضيفت اليه بعد الفراغ الاول منه – وقد وصفه التيجاني في مقالته عن « محمد عبد الرحيم : المورخ الذي صنعته الثورة » دون ان يشير الى وجود فصول في الشعر السوداني فيه – وليس هذا مما يمكن ان يغفله التيجاني في عصر لم يكن نقد الشعر السوداني قد ظهر فيه ظهورا واضحا . يقول التيجاني : –

« ويسمي اى محمد عبد الرحيم مؤلفه الرابع (نفثات اليراع) ولا يقصره على السودان وحده ؛ بل يتناول فيه جغرافية الاندلس وتاريخه من عهد فتحه الاسلامي الاول على يدي طارق مولي موسى بن نصير ويمر عليك في اسلوبه الشيق كل حوادث هذا العهد حتى يجيء دور الداخل واولاده من بعده الى اخر من انفلت الملك عن يده منهم وتختص ناحية اخرى من الكتاب بالحديث عن دارفور ووداى ونيجيريا ويختمه بفصول هيمنه في الادب والاجتماع . »

والتيجاني يشير هنا الى جزأى الكتاب وقد طبع الجزء الاول فقط – دون اشارة محققة محددة الى فصول عن الشعر السوداني ،

وهو قد ذكر وداى ونيجيريا وتفاصيل الفصل المتصل بتاريخ الاندلس، فلم يكن ليغيب عنه ان يتوسع فى الاشارة الى فصل الشعر السودانى المعاصر له ، الا ان يكون ذلك الفصل ليس اصلا فى الكتاب ـ واشارته الى « فصول قيمة فى الادب والاجتماع » ليست بشىء ، ففى ما كتبه محمد عبد الرحيم شىء من ذلك ٠

وفى عام ١٩٦٢ جاء دليل جديد ، يعتمد على خطابين من التيجانى نفسه حول هذا الامر ٠ ففى كلمة الاستاذ حسن نجيلة فى مهرجان التيجانى الذى اقامته جماعة الادب السودانى فى تلك السنة ، جاء ما يلى :ـ

(عمل التيجانى فترة مع أستاذنا وشيخنا الجليل محمد عبد الرحيم عندما انشأ مجلة امدرمان « وعندما انتوى السيد الشيخ محمد عبد الرحيم اصدار كتابه نفثات اليراع وكل للتيجانى جمع وترتيب الجانب الذى خصصه فى الكتاب لتسجيل نماذج من الشعر السودانى المعاصر والسابق وكتب التيجانى الى فى هذا المعنى عندما كنت اعمل فى شندى وطلب منى شيئا من شعرى لهذا الغرض فرددت عليه معتذرا بل رجوته الا يتصدى لطبع اشعار الشباب لانها لما تنضج بعد وليست فى المستوى الذى يستحق التسجيل فكتب الى مرة اخرى يلح فى موافاته بشىء من شعرى واكد لى انه ماض فى جمع المختارات وتقديمها للطبع ، ومضى فى تحقيق هدفه ، ومن خلال تقديمه لذلك الشعر استطاع ان يسجل اراءه ومفاهيمه للشعر وتستطيع ان ترى ذلك واضحا عندما تقرا تقديمه للشاعرين الكبيرين البنا والعباسى اذ وصف شعرهما بالصناعة والتقليد وان آثر العباسى بالثناء على صناعته التى قال عنها انها « صناعة مجودة » ٠ وقد اثار هذا التعليق على تهذيبه ورقته ثائرة كبار الشعراء والمعجبين بهم وراى ان نقاد

المدرسة الحديثة اليوم لن يخرجوا عما جاء به التيجاني في تجسيم الشعر منذ ثلث قرن من الزمان · (دراسات في شعر التيجاني ، مطبوعات جماعة الادب السوداني ، الخرطوم ١٩٦٢ ، ص ١٥) · »

ثم ان اغلب الشعراء « العصريين » المترجم لهم كعبد القادر ابراهيم (الواضح تأثره بشعر التيجاني) ومحمود انيس (الذى خاطبه التيجاني في آخر قصيدة كتبها ، وهي قافية الخفيف التى عنوانها « فاحتفظها ذكرى ») وحسين منصور (صاحب ديوان « الشاطيء الصخري » (١٩٣٩) ، والذى ودعه التيجاني حين سافر الى القاهرة بالميمية « ملاحن فيها الهوى والالم ») ومحمد السيد حمد وحسن نجيلة ، هم من اصدقاء التيجاني او ممن كانوا قريبين منه · هذا الاختيار له دلالة لا تخفى ، فقد اختار التيجاني لاصدقائه والا لم غاب عن الكتاب شعراء كانوا ملء السمع والبصر آنذاك مثل محمد احمد محجوب ويوسف مصطفي التني ومحمد عثمان محجوب ، وحمزه طنبل ، وغيرهم ·

ثم ان التيجاني ساهم في تحرير باب (الاداب والفنون) في مجلة (الفجر) مرة او مرتين ، وكانت سياسة المجلة تقتضي ان تنشر مادة هذا الباب غفلا من اسم صاحبها فهناك اشارة واضحة الي انه شارك بقلمه في تحرير ذلك الباب في كلمة وردت في نعيه في نفس الباب بتاريخ ١٦/٨/١٩٣٧

« ان للتيجاني على « الفجر » لحقا فهو قد حرر هذه الصفحة مرة او مرتين ، وساهم بالعمل في المجلة في غير ذلك ما استطاع ان يساهم » ·

ولم نستطع ان نهتدى الى ذلك ·

اما التعليقات الصحفية المنشورة في مجلة (امدرمان) فهي مأخوذة من نسخة قديمة لاعداد المجلة تحتفظ بها اسرة الشاعر ، مثبت

بخط اليد أمام كل تعليق منها انها للتيجانى ، وهى ، بعد ، مما يكتبه عادة محررو الصحف والمجلات ، وفيها سمات اسلوبه ٠

وبعد فهذا جهد اردنا به ان ننقذ جانبا من تراث هذا الشاعر ، لاهميته فى فهمنا لشعره ، وبالتالى فى فهمنا لجانب ذى اهمية كبيرة فى ثقافتنا ٠ ولعله يحفز همة اصدقائه ودارسى شعره ان ينشروا ما طووه فى خزائنهم من رسائله لهم او لغيرهم ممن يعرفون ٠ والله ولى التوفيق ٠

محمد عبد الحى

★★ بعد الفراغ من طبع هذا الكتاب ، نشر الكاتب الصحفي يحى عبد القادر كلمة عنوانها : (ذكرياتى مع التيجانى يوسف بشير) فى مجلة « الدوحة »، السنة الثالثة/العدد ٣٣/سبتمبر ١٩٧٨ ، جاء فيها ، فيما له صلة بتدقيقنا لما شارك به التيجانى فى كتاب (نفثات اليراع) ، ما يلى :

« ٠٠ ووجدت التيجانى يوما منهكا ومنهمكا فى تصحيح كتاب (نفثات اليراع) المنسوب للاستاذ محمد عبد الرحيم (مؤرخ سودانى) ـ فقال لي فى حرارة : اننى فى الواقع مؤلف معظم هذا الكتاب ٠٠ بل ان الفصول القليلة التى كتبها محمد عبد الرحيم اضطررت لاعادة صياغتها حتى تتمشي مع اسلوب الكتاب العام ٠ ص ١٠٢ » ٠ وفى الكتاب كما اوضحنا اسلوبان متميزان ـ ونحن اذ نثبت للتيجانى حقه لا ننكر فضل الاستاذ محمد عبد الرحيم ، المؤرخ العظيم ـ اول من صنع للسودانيين تاريخا من مادة فكرهم ، ولم يغب ذلك عن التيجانى ، وقد كان له من القدرة الفكرية والثقة بنفسه ما يمنحه القدرة على الاعتراف بفضل الآخرين وادراك عبقريتهم ـ

وقد اشار الكاتب ايضا الى مقالات للتيجانى في (جريدة النيل) ـ ولم يعرف عن التيجانى انه عمل فيها او شارك فى تحريرها ـ ولعل هناك شيئا له فيها غير ممهور باسمه ، وهذا امر يحتاج الى تحقيق ٠

في مغاور الشعور :

الآثار الشعرية المبهمة

كم من الشعر ما لو حاول القارىء ان يفهمه عن غير طريق روحه في حدود استطاعته ان يعرف من اى اللذاذات تكون هذه التى يحس لم يكن موفقا فى فهمه او الاستمتاع به · ولكى يصل منه الى نشدته من المتاع واللذة فان حاجته الى نصيب غير قليل من (الوهم) الشعرى شيء لا بد منه لمن ينشد هذا المتاع · فاذا انتهى اليه وفتح اغلاق نفسه يستقبل ما ينهمر عليها من صيبه السحرى لم يجد لديه يومئذ ما يجعل لها اثر السحر ولكنها ليست به · فقد تكون نشوة او طربا روحيا تجهل انت من بواعثه اكثر مما تعلم أعنى انك تعرف انه من هذه القطعة الشعرية الرائعة وكفى · ولكنك لا تدرى ابدا حقيقة ما اثارت هذه القطعة في دمك من الوساوس والاوهام التى تزحم عليك نفسك ثم لا تلبث ان تبنى فى كل خلية من اعصابك هيكلا سحريا عجيبا تملؤه الخيالات وتعمره احلام الشعر · وانت بعد على ما تحس من زخرفة كل هذا وثروة معانيه وجمال اثره فى نفسك اكثر حصرا وعيا من ان تحمل هذه الدنيا الغامضة فى كلمات من اللغة لتدفع بها الى هذا الفضاء ولترفع عن مشاعرك ذلك الضغط السحرى المحير الذى تلذه وتشقى به ·· وتلك هى الاثار الشعرية المبهمة التى نعنيها ونتوجه اليها بهذا الحديث ·

وحتى الحديث فى هذا لا يكاد يخلو من عوارض الابهام لما يتمتع به من مغاور وأنفاق فى مسابح الاحساسات القصية التى تعيش فى

فنّ الشّعر

هذا الحس الذى تملؤه حياة واحدة ليكون اكثر افتتانا فى تلوينها من الحياة نفسها وبحسبه منها ان تمده بالاثر الواحد ليصنع منه ما لا حصر له من الصور الخفية والاثار المتنوعة والالوان المختلفة التى لا توجد فى حقيقة الحياة والتى يحمل رسالتها الشعر موفقا فى بثها بين الدماء الشاعرة فتختلف اثاره فيها قوة ووضوحا ولبسا وابهاما ٠ اما ما اتضح من هذه فهو محدود النتيجة معروف العمل ٠ واما فى كثير مما انبهم منها ما تقوم به حقا مهمة الشعر ٠ وهل هى الا مهمة خلق وتجديد ٠ تجديد للقوى الانسانية العليا فى النفس وتنبه للمشاعر الشريفة فى الاعصاب وسمو بالروح الى حياة ملائكية بحته ٠ وكم نفس استطاع الشعر بلينه ويسره وموسيقاه وغموضه وشدته ايضا أن يغير منها كثيرا فى ساعة استعداد خفى للانتقال المفاجىء من شعور الى شعور ٠ ومن هنا دائما تكون الاثار الباقية التى تتركها قراءة قطعة شعرية رائعة فى نفس احدنا فلا يكاد ينسى ما تردد فى حسه منها حين قرأها أو حين سمعها او حين رآها فى منظر طبيعى جميل ٠ ولا يكاد ينسى وقعها واستقرارها فيه وما اثارت يومئذ فى دمه من خفة وطيش او هدوء او تقبض وانكماش او اى الاثار مما تفيض به قطعة الشعر ٠ يذكر كل هذا ويختزنه فى مخه ملفوفاً بغواشى ظلام خيالى لا يمكنه من استيضاح كل ما هنالك ، ولكنه يلمح له بواحدة واحدة من مختلف الاثار الذهنية ويطل به فى ثقوب نفسية مبهمة للصور الا قليلا . مما يتلمح فيها من ضياء الذكرى ٠ وكل لذة الشعر انما هى فى هذا كانما ابتعث الشعر ليزود النفس بهذا الضرب من الحياة التى ان لم تجدها فى الشعر الراقى لجأت اليها فى الاساطير الملفقه ٠ وقيمة هذه الاثار فى تكوين النفس وعملها

مجرى التفكير في الشعر

لا محالة ان الشعر فن سحرى فى كل شىء منه · فأوزانه ومقاييسه ضرب من هذا السحر · وتعدد هذه الاوزان والمقاييس دليل على انه يستقبل النفوس فى اوتارها ويتعرضها من مناحيها بما فيه من شبه بها حتى تقبل عليه مسحورة به مأخوذة بموسيقاه التى تنصب على الحواس فتغمرها بنوع من البهجة والنعيم المسحور · وفى تعدد هذه الاوزان ايضا تعدد لصور منازع النفس واحصاء جزئى لاوتارها التى لا يمكن بوجه ما أن تكون محصورة فى دائرة من الاوزان قد يقولون عنها ستة عشر أو سبعة عشر أو مائة او ما الى هذا مما يستلزم الحكم على أشياء أبعد ما تكون عن الحصر · ونحن اذا استطعنا أن نلم بمنازع النفوس وأن نستقرىء كل ما لها من لفتات سريعة واتجاهات غامضة دقيقة وما تزخر به هذه العوالم الواسعة من عواصف وأهواء معقدة ملتوية هنالك يسوغ لنا أن نضع حدا لاوزان الشعر · وان يكون صحيحا ابدا ان نجازف بالحكم على انها كذا من (البحور) قبل ان نعرف كم عند هذه النفوس من خلجات وقبل ان نستعرضها فى كل ما لها من ميول وبواعث غاية فى الدقة ثم قبل أن ندرس هذه البواعث على قسميها الداخلى منها والخارجى دراسة قيمة تنير امام أعيننا ظلام العواطف المتراكبة المتداخلة · فالشعر المنتج كالفصل المكتمل المستوفى من هذه البواعث الداخلية او هو درس بليغ من هذه المؤثرات · فلنأخذه على أنه أسباب وعلل · ولندرسه على أنه مصدر المحركات النفسية التى يعج بها احساسه وتزخر بها روحه ·

ولنستعرض تجاربه في كل ما شعر ونظم وفي كل ما حاول ان يشعر وينظم • افلم يحس يوما ان لديه أوتارا أخرى لم تحرك بعد حتى لقد اوشك أن ينالها الصدأ لانه لم يحاول نقرها في كل ما اثر وانتج • نعم أن بعض الشعراء لاشد ايمانا بأن ثمة الحانا جديدة واوتارا جديدة لنوع من التفكير جديد • وهم اذا أثاروا اليوم منها بعضا وعزفوا منها على بعض قائما بقدر ما وصل اليه الفكر الشاعر • وفي الطريق غيره مما لا أذن سمعت من هذه الالحان الجديدة • واما القارىء المستهلك فهو اكبر عون لنا على دراسة القسم الاخر أعني قسم المؤثرات الخارجية • فلعله ما يزال يؤمن انه لا يتبلد لسماع ألحان أخرى غير ما طبع عليه بل لعله اشد وأرسخ ايمانا من الشاعر نفسه بأن لديه نزوعا الى أكثر مما سمع • واستعدادا الى تلقي غير ما اعتاد أن يخلد اليه اذ ما يزال يلمس في دخيلة وجوده جوانب هادئة ظامئة لطول ما مر عليها من جفاف وصمت • • • كل ذلك يثبت أن هذه النفوس الواسعة العميقة محال أن يفرض عليها (العروض) أوزانا ستة عشر كأنما قدر أن ليس هناك عاطفة أخرى تقبل او تثير ما اثاره غيرها من العواطف الحية ولكن لا يبعد أن تكون هذه الاوزان التي تواطأ عليها علماء الشعر هي اوضح الاوتار وأحياها والا فقد تتأثر بغيرها مما يجد ويصنع مما لاحصر لاوزانه أبدا وهي مع ذلك صور متدفقة على قوالب شبيهة بها في النفس • وما يكون ذلك الا دليلا على ان هذا الفن المسحور متعدد بقدر ما عندنا من عواطف واعصاب وبقدر ما في عواطفنا واعصابنا من تراكيب وما لهذه التراكيب من صور وما لهذه الصور من وجوه • والوزن وان كان جزءا من الفكرة فان له أثره الخاص فيها لا من حيث التوقيع والصياغة والانسجام وهذا الانطلاق الغريب وهذا الانسكاب الجميل بل لانه يحد منها ويضعها في جو ملائم

لها متجمعة فيه متكيفة به تحت قوانين لابد من مراعاتها · وانما يعين انه جزء ملازم لها متمم لوجودها أنا اذا انتزعناها من بينه فقدت اوضح خواصها وأقواها وهو التماسك والاداء المنظم حتى لتعود غريبة بعض الشيء عن نفسها وهي هناك · فالفكر وهو في الشعر غيره وهو في اي جو آخر لما نأخذه به من التقيد والتماس الاعجاب في التعبير وطريقة الاداء · والفكر في الشعر انما يختصر نفسه ويرسلها في هذه الكلمات القليلة ولو قد أطلقها لما أستطاع أن يحقق شيئا منها في مثل ذلك الاختصار الذي تزخر في اثنائه صور واضحة ناطقة · أقصد أنما يتأتى للشعر في نزر من الالفاظ البليغة قد لا يفي به الاطناب والترسل في الشرح والتفسير أحيانا وهذا هو السر في أن الشعر دائما مجال للتفكير ومكان للبحث لان فكرة الشاعر تكون اذ ذاك موزعة في كلمات تربطها مشابه الفكرة التي يسعى في تصويرها فيودع في كل كلمة جزءا منها حتى اذا انتهى البيت كانت أجزاء الكلمة كلا لا بد منه لتكوين فكره هكذا يجب ان تصاغ · ومتى حاولنا أن ننزع من القصيدة أو البيت منها لفظا لازما له لشبهه بعنصر الفكرة ومسارقته لها رأينا التفكك يبدو ظاهرا فيه حتى وان عوضنا اليه غيره مما هو نص في معناه فالشعر أنظمة دقيقة تشمل الفكرة واللفظ والصياغ وتحرى الشبه بين الاجزاء · والشاعر اذ يتهيأ للنظم وينقطع اليه في احدى ساعاته الشعرية انما يحاول جهده قبل ذلك أن يجعل نفسه كاوتار القيثارة كلها مرهفة دقيقة وكلها ذات لون لحني خاص فاذا حركها جميعا أرسلت لحنا واحدا متناسبا يكمل الواضح منه الغامض والغليظ منه الدقيق في غير تناكر · ومن هنا كان للتفكير الشعري مجرى خاص ··· من هنا كان الشعر سحريا أكثر ما يكون حاجة الى تفكير سحري خاص به ايضا يحمل اثر العاطفة

التى اوجدت الوزن وهيأت المزهر للعازف · ولن ترى كلمة او حرفا من كلمة لا يخفق بمعنى من صور هذه العواطف متفرقه في أماكنها أو متجمعة فى جانب واحد · فالكلمة وحرفها ومكان وضعها · ومعناها ومكان وضعه من الكلمات الاخرى ومكان وضعها · وما تبعث مجتمعة من أثر وما تنهض به من فكرة فى البيت الواحد من الشعر مضافا الى الى غيره فيما يدفع من سحر ويؤدى من بلاغ ويخلق من جمال الى غيره الى غيره وهكذا الى اخر القصيد كله عمل دقيق متدفق مع العاطفة مسايرا لها يصور دقائق الحياة النفسية ويحمل مشابه نفس الشاعر بانتاجه ويخلق هذه المشابه بين الشاعر وقرائه · والتفكير الذى يستوجبه الشعر هو من نوع الحياة التى تستلزم القلب ليتم لها ان تكون حياة لا ينقصها شىء من الحركة والقوة · ولكل منزعة الخاص فى تفكيره اذ لا حدود ولا مقاييس تحد منه وتنتظمه مع غيره في نظام واحد فهذا واضح وهذا غامض وهذا سهل لين وذاك صعب متأب معقد · وبعض الشعراء تقوم الفكرة فى نفوسهم واضحة جلية فيها من القوة والوضوح ما لا يبقى له بعده الا الصياغة والا ان يضعها فى قانونها الخاص وأولئك امثال (المتنبى) وغيره من فحول الشعراء ومنهم من يمسك بالقلم وليس لديه ما يقول فيظل يكتب ويمسح ويبدأ ويعيد حتى يوفقه الله الى خلق شىء قد يكون موجودا فى نفسه وقد لا يكون · ومنهم الذى يندفع ويترسل ويمط الفكرة ويذهب بها ويجىء فى مثل ما تفعل العناكب فاذا بها قصيدة اشبه بالمحادثات العادية وهؤلاء كثيرون (فى زماننا هذا) وكل هذه مجارى للتفكير لا شك أن فى تنوعها صحائف من تاريخ الشعر أحق ما تكون بالدراسة والتحليل ···

قلنا ان الشعر يتطلب تفكيرا خاصا فيه كل ما ذكرنا من خصائصه. وفيه ـ عدا ذلك ـ روح من الموسيقى المعنوية التى نخطىء كثيرا فنحسبها من بعض ما تثيره الالحان الظاهرة. وهذا الروح الخفى من اقوى اركان الشعر ـ واذا كان من بعض ما تجنح اليه العاطفة ويتركز عليها هو هذا التوقيع فان على ذلك وحده يتوقف الجمال الذى تنشده الارواح. وقد يصعب على القارىء فهم ما نسميه بالروح المعنوية والوزن الخفى ولكنه حقيقة لا خيال فيها أبدا. موجود لا وراء اللفظ ولكن وراء حقيقة المعنى. فليتعمق القارىء فى فهم حقائق الشعر يجد أن وراء كل وزن معنى ووراء كل معنى وزنا آخر.

ولا تحسبن ان الشعر دائما وقف على الفكر لا يقوم له وجود الا به. فقد تستطيع ان تقول ان بعض الشعر لا عن فكرة وأن بعضه يرجع للفضل الاكبر فيه الى شىء لا نعرف ما هو. قد يسمونه (الالهام) الذى ينقطع اليه أكبر الشعراء منزلة الى الحياة العليا ولكنه الهام يبدؤه الشاعر من جانبه وتكمله له ارواح أخرى. تهمس فى دمه الشعرى النبيل. وقد تستطيع ان تقول أن بعض الشعر لا عن فكرة وانما يهبط الى النفس قويا هادئا فى ساعة كأنها لمحة من حياة الانبياء يوحى الى الشاعر فيها ما يوحى الى (النبى) فى سره من غير أن يعمل له فكرا فى داك وانما هى الفجاءة الجميزة لا تلبث ان تنقطع. وليس هذا النوع غالبا مما يكون للاوزان سلطان عليه هو مما اذا لم يجد ما يستقر فيه من الاوزان كان بعيدا أن ينهض باسم (الشعر) بل ان منه ما اذا حاول الشاعر أن يستكرهه لما يود ان يفرغه فيه من الوزن والقافية لم يبق منه الا ظلال رقيقة على جوانب أحجار متراصة لا تكون أكثر دلالة على شىء غير

الجمود المنظم والقوة المزخرفه · هذا النوع من الشعر هو اول شيء الهب العاصفة الكبرى التى اثارها بعض الشعراء الملهمين على القافية اولا ثم على ما تستتبع من ضروب العروض وتفاعيله حتى اطلقوا عليه اسم الشعر المرسل او الشعر المنثور · اذ تبين لهم ان ما يلجأون اليه من التحرر حقيق الا يفقدهم جانبا من الهاماتهم المبهمه أحيانا والتى كثيرا ما يأسف الشاعر لضياع أخصب نواحيها الجميلة فى محاولة النظم · ولعل السر فى هذا هو ما يلازم هذه الالهامات من دقة · فان وجدت ما يحفظ عليها خواصها فى النظم والا فلا يبقى الا هو فارغا الا عن الصياغة وحدها · وطبعا كان الغرب أول صعيد درجت ففيه هذه العاصفة وكان الذين اثاروها اذ ذاك هم المسيطرون على الجو الادبى لا محالة بعد أن قدروا مدى ما يفيده الادب من وراء تلك الدعوة الجريئة · ثم أخذ المجددون فى الشرق يفسحون لها مكانا فى الافق العربى وان لم يوفق كثيرا منهم حتى الساعة ان ينتجوا ما يبرر خروجهم وتمردهم على الاوزان · ونحن نلمح فيما يقحمه بعض الشباب فى ادبنا العربى من هذا اللون برودا وضعفا فى الغالب تجد بجانب ذلك أن فيما نفسوا به على انفسهم من تعدد القافية وتلون الموسيقى كانوا أقوى وأخصب منهم فى كل محاولة اخرى كما كان غيرهم من أدباء القرون الوسطى حين لجأوا الى الموشحات والاسماط وان كان بعض مؤرخى الادب يرجعون هذه الظاهرة الى عهد امرىء القيس · ولكن فيلسوف المعرة رحمه الله لم يشأ ان يمر على الاعيب المؤرخين من غير أن يعرض ويسخر ويهزأ ويضحك ويضحكنا معه فلقد مهد لصديقه ابن القارح بطل (روايته) رسالة الغفران ان يجتمع فيمن يجتمع بامرىء القيس وان يسأله فيما يسأل عن صحة ما اسند اليه فى موشحة منها ·

يا قوم ان الهوى اذا اصاب الفتى
وهد بعض القوى فقد هوى الرجل (١)

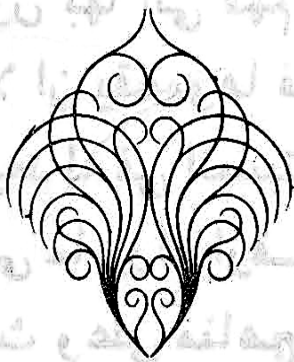
ولكن امرىء القيس من جانبه ينفى ذلك ويؤكد نفيه ويضيق ويتبرم بما ينحله اياه المؤرخين فى موقف فيه كل ما لأبى العلاء من سخرية حلوة واسلوب جميل فى نقد التاريخ واستصفاء الحقائق ٠٠٠ ولو كان تمرد أولئك على العروض وما يلحق به صادرا عن حاجة وشعور بتلك الحاجة الى ما اعقبوا من تمرد لافاد الادب العربى اهم ما ينقصه من فيوض الالهام ٠ على انه ليس فى هذا الامر ما يعد شرا ولا شىء يمنع ان نأخذ به وندعو اليه اذا كنا نعرف كيف نستثمره فنلجأ اليه فى الوقت الذى يتعذر علينا ان نصور الهامنا وأوهامنا الا فيه ٠ فى الوقت الذى لا تنهض فيه البحور والانهار بشىء مما تفرضه عليها من طيوف الالهامات الدقيقة او الغامضة ٠

هاتان الظاهرتان فى الشعر لا تجد للفكر اثرا كبيرا فيهما بل قد نتلمسه فى احدهما فلا نجد له اثرا البته الا قليلا من ملازمات حياة الشاعر اذ لا يمكن ان يتحلل هو من قانون ذاته ليتلقى شيئا لا أثر فيه لعواطفه وتركب أعصابه وتاريخ حوادثه او الامة او افراحه او ما شئت من شؤون هذه الحياة ٠ ولا يلزم ان تكون ايحاءات الانبياء والهاماتهم كذلك ٠ وما نحسب ان فى مناحى الشعر ما يتقاضانا جهودا كبيرة لدراسة علله ومؤثراته كهاتين الناحيتين غير انهما على اية حال لغزان جميلان ٠ وايا كان الامر فان الفكر لا يجرى فيهما مجراه فى كل مسالكه الاخرى التى لا يصح ان تقوم الا عليه والتى ان وضعت له حدودا ومقاييس فلن تعجز عن ادائه وتبليغ ما يود تبليغه الى الناس فى تعابير متمايزة متباينة تختلف قوة وضعفا ٠

(ظلام) النفس بعيدة عن سيطرة هذا الفكر الذى يحد من نمائها ويبدد من كثرتها كلما وقعت تحت وعيه او اتصل بها ضوء منه ٠٠ حتى هذا الحديث وحى اثر لن يقوى احد على استيضاحه بالهجوم عليه فى مكمنه هكذا مرة واحدة وانما يأخذ منه بالمحايلة ما يأخذ ويفر من بين يديه منه ما يفر ٠ ولكن هذا الغموض لا يمنع ان تستوضح منه الانظار بعض الشىء ـ ما لهذه الاثار الشعرية المبهمة من قيمة فى تكوين النفس تكوينا داخليا خفيا يأخذ فى الجلاء والوضوح بقدر ما تأخذه هذه الاثار فى الغموض والابهام ولا يمنع ايضا ان تستجلى ما لهذه الاثار من عمل اخلاقى غريب ففى مجموعة الصفات النفسية للانسان ٠ والشعر الذى نقصد اليه ليس هو فقط ما يتردد فى مظاهر النفس ويتقطع صداه فى صفحتها ٠ واثاره ليست هى هذه التى نتلمسها بلاغة وصوغا وافتنانا فى التعبير ومقدرة على التأثير الوقتى الذى يحملنا على الاعجاب بالشاعر يوم نسمع له شيئا من هذا ثم لا نكاد نحفظ له من الاثر فى الاعماق ما يستحيل لقاحا سحريا لحسنا الخفى وشعورنا المبطن الذى ان قوى ونمى واصطلح مع الفكر كان خير معين على بعث الحياة الادبية الهائلة المدفونة فى دمائنا ٠ والحق ان ليس اعجب من هذا الحس البشرى الخبىء تكمن فيه التأثيرات المتباينة لشتى المشاهد والمناظر والقراءات فيكون لكل منها مخازن واغوار وثقوب واعشاش يستفرخ فيها ويتجنح ثم ما يزال يضرب باجنحته جوانب النفس حتى يضرم فيها اشواقا لا تبردها قراءة ولا يكسر من حدتها شىء ٠ فاذا كان الشعر هو بعض ما ينزل هذا الحس فان ثمة ما يقف دونه العجب وتنتهى عنده الدهشة ٠

فى مجموعة الصفات الفردية شىء تلتمسه لمسا لاول ما تتصل باحد هؤلاء الذين يستكثرون لانفسهم من قراءة هذا النوع ويقصرون جهودهم على استقطارة من بين حنايا انفسهم الزاخرة بالوساوس والاحلام فهم يستبدلون بنظرتهم العابرة فى كل شىء نظرة متريثة بطيئة معللة تفلسف فيما ترى وما تلمس وما تحس ولكنها فلسفة يسندها الخيال فى اغلب جوانبها اللينة ، ويأبوا الا يفهموا الحياة هكذا شعرا من فرعها الى القدم · يؤثرون دائما الصمت ويحرصون على الحديث الى دخائلهم وطواياهم اكثر مما يطيبون به مع مخلوق حتى الاحباء بل ليس لهؤلاء فى الواقع حبيب بعينه ، وان كان فهو (شىء) لا يمشى على رجليه ، ولا يضطرب بين ظهرانيهم · شىء لم يعرف بعد ، مجهول ، لا شكل له فيما يرون من هذه الاشكال · وهؤلاء نوع خاص من الشعراء يعيشون بأوهامهم المهذبة عيش المتصوفة الاطهار ·

وذلك كما ترى تغيير هام فى مجموعة الصفات والاخلاق ، وشذوذ انسانى عجيب فى تكوينهم النفسى لا اصل له الا ما تدفع به فى مغاور شعورهم هذه الاثار الشعرية المبهمة ·



مشكلة أدبية كبرى بين
الناقد والشاعر

اذا توقف فهم الاشياء على الذوق ، وانقسمت الانفس في داخلها الى مذاهب وشيع وتناصرت العواطف والاعصاب ، وتفاعل العقل والقلب ، واضطرب الوجود الداخلي وتعددت مقاييسه ورجحت كفة وشالت اخرى ، ثم شالت كفة ورجحت اخرى ، وتبلدت نفوس ونشطت نفوس ، وكان جفاف وكان لين ، وكان تناكر وكان ائتلاف ، هنالك يصبح سلطان العقل ضيقا محدودا لا اثر له في حكم يصدره او امر يضيفه ، والا كان سادرا في ضلاله متى حاول ان يقف من الذوق موقف الهيمنة والسلطان ، وهل يمكن ان يكون الذوق شيئا تتحكم فيه اقيسة المنطق او ضربا من العلوم النظرية التي يخضعها العقل لسلطانه فينفذ منها الى اقصى ما تصل اليه اطرافها من دقة وعمق او من تغور وامتداد ٠٠ ؟ لا لن يكون ذلك ولن تحلم القوى العقلية نفسها ان تستحيل يوما ما الى قوة روحية بحتة ٠ ولكن بعض النقاد — سامحهم الله — من الذين لم تتوافر فيهم تلك الميزة الروحية الخفية التي يتهيأون بها الى فهم لغة القلب ٠ تأبى عليهم مقاييسهم النابية الجافة الا ان يقحموها في كل شيء والا ان يزنوا بها ما خف ولطف حتى لم يعد له في انصبتهم اثر ، وما جف وثقل وتحجر وتراكم حتى طفر الى ما وراء ارقام الميزان ٠ وهم بذلك يتحيفون على الشعر الحديث وعلى مناهج الشعر الحديث وينظرون الى الحركة الادبية نظرة شك وارتياب ٠ ويعلنون في صراحة مؤلمة انهم لا يفقهون شيئا من هذه التعابير التي قد يكون فيها ، شرب

الضوء » و « رشف الاشعة » (١) و « التهـام النظرات » ومفهوم ان العقل لا يقر شيئا من هذا لانه فيما يفكر ويتناول ويقر ويثبت مادى بحت او كالمادى البحت لا يؤمن بالروح ولا يعرف كيف يكون شيء من هذا الجنون ·

ولقد تدهشك حيرة النقاد وجمودهم امام ارقى المعـانى واعـذب الالفاظ وتساؤلهم فى خبث عما تعنيه هذه الكلمات ، ولـن يستطيع الشاعر ان يقنع احدا منهم بانه انما يعنى كذا او كـذا من المعـانى الروحية فهو لن يقنع له لانه ان كان فى استعداده وجه لقبولها مـن قبل فليس هو فى حاجة الان الى الوقوف امامها هكذا توقف الحائر المأخوذ ، ولكن ما لم يكن على استعداد لاستكناه ما تقصد اليه فانه لن يفهمها حتى ولو افرغها له الشاعر فى قرارة روحه · وهم بذلك إنما يدللون على جدب ذوقهم الشعرى وانهم اغلظ احساسا واجف عاطفة وابلد شعورا من ان تلامس هذه التعابير ارواحهم فى رفـق ولين فيطربون لها ويرقصون على نغماتها ويتساوقون مع الحانهـا كما تتساوق العين مع المرئيات · واذن فالشعراء امام امرين : اما ان ياخذوا بيد النقاد الى البحر الذى ينهلون منه ويطلوا بهـم مـن الثنيات التى يستوحون فيها ويهبط عليهم منهـا شيطان الشـعر او شيطان الجديد ليرى الواحد منهم بعينى راسه طول النهر وعمقـه وزخرة امواجه وما تنبت شطانه من ملائـكة وشـياطين · والا بقى الامر معقدا وازدادت الهوة سحقا واتساعا بينهما حتى تبيد السماء وتطوى الارض وهذه فى نظرى مشكلة ادبية كبرى لا يمكن حلها بمثل تلك السهولة التى الفناها فى المشاكل الادبية قديما وحديثا ، وانها ليغلب عليها ان تكون من ملازمات هذا العصر الذى لـم يسـبق ان تباعدت الشقة هكذا بين الشعراء والنقاد الا فيه ، فان من يقرأ نقاد

ابى الطيب مثلا وما الف من الكتب فيما له وما عليه ، لا يعــوزه ان يجد للمشكلة الادبية التى تقـوم بين ابى الطيب وخصومه ونقــاده حلولا ما لا تترك مجالا للشك فى صحة ما انتهت اليه لانها تكون غالبا من نوع النقد الموفق المحدود الذى لا يجهد الانسان كثيرا فى اقامة الادلة والشواهد عليه فقد تكون فى معنى مسبوق فيه · وقد تكون فى تعابير مرغوب عنها كالالفاظ الحوشية الخانقة ، وقد تكون فى شذوذ نحوى او لغوى او ما الى ذلك /. فالشعر محدود الاغراض والنقاد موفقون فى وجهة انظارهم التى لا تبعد عما شرحنا بكثير ، ولكـن الشعر الحديث والطريق التى بدأ يأخذ فيها منذ قريب هى التى خلقت له نقده لا من نوع اولئك ، لانها ليست من نوع الادب ، وباعدت بينهم وبين ما تسرف فيه هى من تلطف فى المعانى واندفاع مع الهواجس وتوغل فى الشعور وافتنان فى التعبير ـ فانت تلاحظ تعمقا وتحس شذوذا فى توثب الخيالات بعضها إثــر بعض وتزاحمهــا فى البيت الواحد من الشعر الحديث · وترى خروجا على ما الفه الشعراء من قيود وتقيد لا مع الاوزان ولكن مع المناهج التى ظل يسلكها القديــم وما زال يسلكها ويناصرها القدماء ومايزالون يناصرونها حتى اخر لحظة من الحياة ·/فان من اهم ميزات الشعر الحديــث انــه اصبح يؤدى واجبه فى الحياة كلغة سماوية عليا لا كاصطلاحــات بشــرية قاصره ، وان الشعراء اصبحوا يؤدون واجبهم كانبياء تفتــح لهــم ابواب السموات لا كهؤلاء الناس الذين يغلب عليهم الشر ويتكاثفهم التراب · فمن الطبيعى ان ياخذ النقد عليه قليلا مما اخذه على القديم وكثيرا مما لم ياخذه النقد عليه · ولئن كان يعنى من ذلــك باللغــة والالفاظ فان له من هذا المناحى كثيرة منها اللغة ورخــاوة التعبير واضطراب الموسيقى وغرابة المعنى او شذوذه وتعقده او ابهامه ثــم

الخبط والخلط والهذر والهراء والتجديف · ولا حاجة بنا الى التحدث عن ضعف لغته او قوتها واضطراب موسيقاه او اعتدالها فان ذلك سيضل منه النقد لا محالة الى نتيجة طبيعية مقررة · وما كل الشعراء فقراء فى لغتهم وان كان بعضهم ياخذ منه الضعف بنصيب ـ ولا كلهم يجهلون مقاييس الشعر وان كان منهم من يتعثر احيانا ويخلط بين بحر واخر · ومثل هذه المشاكل كما قلنا يستطيع الشاعر والناقد ان يصلا فيها الى نتيجة محدودة وان يقنع احدهما الاخر بخطئه · ولكن · ولكن غرابة المعنى وتعقده وابهامه ثم اخيرا طريق فهمه فذلك ما لا يقع فى مكنتهما ان ينتهيا فيه الى حل معقول · ومن هنا يتفرع الخلاف ويستمر النقد وتتسع الهوة الفاصلة حتى ما يكاد يسمع احد هما صوت الاخر وهو يصيح بملء فيه · فالمشكلة اذن ذوقية اكثر منها نظرية اوعلمية بل هى لا تعرف الى النظر طريقا ولا الى العلم سبيلا ·

والحق ان الاشياء اذا كان فهمها مقصورا على الذوق كان التباين فيها شديدا واضحا بين الافراد · فما يقدره البعض ويكبره ويلذه ويخلد له ويسمو به الى حد الاعجاز ، هو بعينه قد يستهجنه البعض ويستخف به ويسخر عليه ويستهين به الى حد الاغفال · فهؤلاء النقاد ينظرون الى الشعر من وراء العقل المجرد من كل اعتبار ، واولئك يمارسونه وينظرون اليه من وراء الخيال الذى يزوده العقل وتمده العاطفه المشبوبه من لهيبها المضطرم · فلن يتوافى منهم اثنان على مشروع واحد إلا اذا تنازل احداهما من مبدئه الى الاخر · وما اظن ان ذلك يكون · وما احسب ان احدا يرضى ان ينهزم عن رأيه الذى كونه فى الحياة عن شىء بعينه الا اذا اوضح له انه خطأ محض لا سداد فيه ولا اعتدال بل لا يمكن ان

يتملل احد عن قيود ثقافته التي تخلقه خلقا جديدا فكرا وذوقا واعصابا والتي تدفعه قسر ارادته وتوجهه الى ما وجهت اليه من قبل • اجل ان الانسان ليصدر رايه عن الشيء وعليه من دمه وثقافته واستعداده طغراء ثابته وطابع لا يغش ولا يخدع ولا يوارب هو عصير من نفسه وميوله واهوائه واتجاهاته وهو ثمرة طبيعية لتفكيره جسبما يؤثر فيه من ثقافته ونوع اطلاعه والكتب التى يقصر عليها جهوده • وما ننسى ما لهذه من اثر فى تكوين الاراء ومن لدن صدر ديوان « الملاح التائه » (٢) وغيره و « الالحان الضائعه » (٣) وغيره ، ثم لنا أن نستعرض كثيرًا من الصور يسرف الشاعر فى السمو بها حتى يوشك ان ينفذ بها الى السماء ويسف بها الناقد حتى يلامس بأنفها الارض • على ان ما يعده النقاد مآخذ على صاحب الملاح التائه ليس فى كثير منه ما يصح ان يكون غيرة على الشاعر ان لم ينقلب بدوره الى نقص فى ذوق الناقد •

هذا هو « المازنى » وهو شيخ من شيوخ الادب ما فى ذلك ريب • وهو شاعر لا يعوزه الاحساس الشعرى ولا يلتبس عليه الجمال بالقبح ولا القوة بالضعف وقد تناول (الملاح) بالنقد وما كنا نتوقع منه ان يتناوله الا بتلك الروح التى صقلها الشعر ولكنه غالى واسرف فى انكار قلمه الذى عرفه الادب منذ امد طويل خبيرا بمواضع الجمال بصيرا بمظان القوة مقسطا لا يتحيف ، هادئا لا يندفع مع ثأر وتهزه موجدة احسها للانتقام من وراء حرمة الادب • وانى لامثال المازنى ان يشغلوا نزاهة اقلامهم فى نزعات النفوس ونزوات الأغراض • هذا هو يعود ليتنازل من مكانته التى احتلها فى عالم الادب قريبا من ثلث قرن فيعمل قلمه فى الاثنار من الاستاذ « المهندس » وفى يقينى انه ليس بمطمئن الى ما كتب من الناحية

الادبيــة وان كان مطمئنا اليه من ناحيــة التشــفى والانتقام لانــا لا نستطيع ان نتهم خبرة الاستاذ المازنى فى النقد ولا نستطيع كذلك ان نؤمن بان ما كتبه فى جانب من النقد النزيه او فى مكان من الحقيقة فى غالبه . فليس هو بنقد اذن ولكنه شىء اخر ....

ولقد قرأت فصلا لبعض النقاد يأخذ فيه على صاحب (الالحــان الضائعة) كثيرا من الامثال :

عصرت روحى خمرا للورى وهدى
وما تذوقت منها بعض ما شربوا (٤)

يسأله فى قحة كيف تعصر الــروح « والعصر شىء مادى والروح روح لا مادة فيها » . وهكذا مما لايعدو ان يكون تعنتا محضا لا يــد للعلم ولا للنزاهة فيه . فبالله ربك ايعتقد هذا الكاتب انه ينقد ؟ وما النقد اذن ؟ اهو الانكار فى صراحة كهذه ؟ اهو السخر فى مــرارة كتلك ؟ ام هو التعنت فى خبث لا نزاهة فيه ام ماذا ... ؟

لقد خلص الى يدى منذ ايام جواب من « اديب » لا اعرف من يكون هو يأخذ فيه على غموضا يرى أنى «اسرف فيه واشحن قصائدى منه» ويأخذ على اشياء اخرى لا صلة لهــا بالادب فى كثيــر ولا قليــل . واقسم انه وثلاثة غيره لم يسهل عليهم ان يعرفوا ماذا اعنى فى هذه الابيات : ــ

وانــــت يا من ذقت طعم الهوى من سحر عينيه ومن خده
عيناك هاتان ... وقد صيغتا من كبرياء الحسن او مجده
عيناك هاتان .. وما فيهمــا من هادىء السحر ومحتــده

كمضمر سـراً ومن بينـه　　مغالـق الكـون ولم يبده (٥)

واعوز احـد الاصدقـاء وهو ··· اديـب ··· اى والله ······ يكتب عن اسماعيل صبرى باشا (٦) ان يجد عصا لينشج بها رأسى لانه لا يعرف كيف يفيض القيثار بانسان : ـ

هذه امه يفيض بها القيثار فاسمع حنينه وانكساره (٧) وقـام صاحبى وقعد ليصل بنا الى حل معقول لهذا البيت ولكنه اخفق ··· وبعد ····

فهذه مشاكل تقع فى ادبنا الحديث · وما ارى الا انهـا ستتسع باتساع افقه · وما ارى الا ان النقاد سيجدون وسيحنقون وتضيق نفوسهم بما فى هذا الشعر الجديد من سعة · وسينكرون جادين او متعنتين · فاذا رأينا ان نؤلف بين الشعراء والنقـاد منذ السـاعة وجب علينا ان نوحد من اذواق النشء بما تدفـع بهـم اليه من نوع الاطلاع الذى كون اسمى الشاعريات وما زال يكونها لا ان نفرض عليهم تذوق هذا اللون من الشعر وهم ابعد ما يكونون عنـه ثقافـة واستعدادا ·



فى الشعر السودانى

الأدب السوداني العربي

الي وقت قريب كان يشك بعض الناس فى ان يكون للسودان ادب خاص يحمل طابع شمسه المشرقه وطغراء بدره الوضىء ، ويخص بعنايته الحياة السودانية وحدها منحنيا عليها يصفها ويحللها ويصدر عنها ويرسم لها منجذبا اليها مندفعة اليه موثرا فيها متأثرا بها ٠ ثم ينكمش على النفس السودانية يوسعها درسا وتمحيصا وتفرية فينقدها ويمتحنها متحينا بها اسباب الرقى والكمال مستخرجا من مبادئها غاياتها ومن يومها غدها ومن احلامها حقائقها دافعا بها حافزا لها مسيطرا عليها نازلا منها منزلة العقيدة من نفوس المؤمنين يحوطونها بالرعاية ويذودون عنها بالنفس ٠ والى وقت قريب بل الى هذه الساعة ما تزال المغالطات قائمة على اشدها فى امر هذا الأدب اهو سودانى صميم من صنع البلاد ام هو خليط مما يرد علينا من الاقطار الاخرى فقال البعض بهذا وقال البعض بغيره ولكل رأيه ومعتقده ولنا نحن ايضا رأينا فيه وما هو بهذا ولا ذاك فما نقول انه سودانى محض ولا خارجى محض ولكن كفى دليلا على انه لم يتركز بعد ولم يتصح امره فنصرفه الى ناحيته الخليق بها ، هذا الخلاف القائم حوله اذ لو كان الامر فيه واضحا لما نجم انشقاق فى الرأى ٠ وهذا برهان صريح على ان فى كلا الرأيين مجازفة وتسرعا بالحكم ٠ وظلم صريح ان ننكر على السودان ان يكون له ادب ٠ ومجاملة صريحة ان ننحله الكينونة الادبية والانتاج المستقل ٠ وقد وقف القارىء على طرف من رأينا عنه عند الحديث عن الادب القومى

اذ قلنا ما معناه ان الادب القومي في نظرنا أصدق في التعبير عن الحياة السودانية من غيره · وما ذاك الا لانه من جو سوداني خالص من المؤثرات الخارجية التي يجترها من وراثه الادب العربي المشترك بين كل البلاد العربية حاملا معه خصائصها وميزاتها ومنازعها بقدر قوة الامة وتأثيرها فيه · ومعنى هذا ان الامة القوية في تفكيرها وادبها تفرض شخصيتها وحياتها ومناهجها الادبية على الشعوب الناشئة والامم التي لم يتركز تفكيرها بعد على اساس من حياتها الداخلية فتظل حائرة مترددة بين حياتين تحاول ان تنسى انهما متغايرتان ولكن الواقع يطل عليهما بوجهه فتغضي على المسم ويشتد الصراع بين الفكرين حتى يقدر لاحدهما التغلب على الاخر · والسودان اليوم وان يكن يقع في مثل هذا المأزق فان فكره لم يستسلم ولم يفتر عن العمل والانتاج ولكنه انتاج من يغالب في نفسه عوامل كثيرة محققة العمل في نفسه وذلك هو شأن الادب في السودان فانظروا ماذا تسمونه ؟ ونحن نرى من العدل الا نقر عنوان هذا الفصل على حاله بل ينبغي ان يكون هكذا « الادب العربي في السودان » ولا يفهن احدا من هذا المعنى غربة الادب فيه ، وايا كان الامر فانه ولا غرو ادب العرب الذين وحدهم تنتمي وعلى دوحتهم الغنواء والفارعة نجمت فروعنا وانتهت انسابنا في التاريخ ولكن انقطاع السودان زمنه الاطول عن الحياة الادبية وحرمانه حرمانا تاما بفعل الظروف القاسية من العلم والمعرفة واخلاده كل ذاك المدى الى الادب القومي وانشغاله بروايته وحفظه والتمكين له وتلمسهم عنده اللذة الشعرية التي اخطأتهم في غيره واعوزتهم الا عنده كل اولئك وسع الشقة بينهم وبين الادب العربي وجعل من المحال ان

يواصلوا جهود ابائهم فى الادب فيتم لهم أن يضيفوا اليه ويضعوا على اساسه ادبا سودانيا تقرؤه فتقرأ السودان لا العراق ولا دمشق ولا سوريا ولا حلب ولا غيرها · واذا قدر للسودان بعد ذلك ان يصل ما انقطع من تاريخه الفكرى أو ان يحاول البدء من حيث انقطعت بــه اسباب الحياة الادبية فمن غير السهل ان يستعيض كل ما فقده فى ايام معدودات كما يريدون له ثم من المستحيل ان يفــرغ فى روحــه صوره التى جدت واســاليبه التى حدثت بفعــل العصور بمثل هذه السرعة فيستهدى بها فى طريقه واضعا الى جانبها اساليبه وصوره وتعابيره الادبيــة السودانية البحتــه · ولعمرى لــو لا هذا لكان للسودان اليوم شأن عظيم فى ايجاد ادب خاص فيه الحياة السودانية والفكر السودانى ولرأيت صدق هذا العنوان وانطباقه على الواقع من غير تجوز ولا تسامح · ولقد كنــا احرص الناس على الاعتقاد بان لنا ادبا سودانيا لو كان فى كل ما قرأنا منــه انتــاج سودانى خالص وعلى كل حال فان الدم العــربى السودانى فى ادب القرن الماضى اوضح واظهر منه فى هذه الايام التى كاد يفقد فيها الفكــر السودانى شخصيته وينسى جوه نسيانا تاما ويتفــرق وجوده فى مشايعته للاداب الاخرى والادب فى القرن الماضى بجانب ذلك قوى اذا قارنا بينــه وبين بعض صور الادب المصرى عهدئــذ · على ان اليد المصرية بطبيعة الموقف كان لها عملها فيه ونظرة واحده نلقيها على الفكريــن يومذاك تبين لنــا ان الســودان لــولا الطــوارىء والثورات لكان له مثل ما لمصر من الاســتقلال او شــبه الاستقلال الفكرى لان الاساليب الادبية التى كانت شائعة بين مصر والسودان تجد انها بدأت تتركز فى السودان وتقــوى اكثــر منهــا فى بعض صحف مصر ·

★★

الشعر في هذا العصر

ومن الشعراء الان شيوخ وشباب يقوم الامر بينهما على فرقة في السن محققة ، وعلى انقسام في الادب مشهود ، ولو كان هذا التغاير قائما على اساس من نظام الحياة في العرف ، واقعا على قانون الانصبة من القوة ٠ والقسمة من الفتوة ، لكان الامر يومئذ للشباب وحده ٠ ولكن يشاء ربك ان لا يجرى الامر على قياس بين الشيخ والشاب في عالم الفكر ومضطرب الادب فهما فيه فرسا رهان يتقدم احدهما الاخر حتى يقال اوفى ، فيتقدمه هذا حتى يقال ادرك ٠

يتناوبان السبق كل في المدى
يطوى لغايته الزمان ليدركا
وهما المدى يتفاوتان اعنة
هذا بذا وكلاهما لم يوشكا

وان من هؤلاء الشيوخ لشبابا فوق الشباب بكثير توفر لهم النضوج والخصب وتهيأ لهم النشاط والقوة في حين يزهو عنصر الشباب بعضله يدك به كل عرف ويحطم به كل قائم ٠ على ان راينا في كلا الطائفتين رأى قدمنا منه بعضا وأرجأنا منه بعضا اخر هذا مكانه ٠ فنحن نرى ان في انتاج بعض الشيوخ تقليدا الى غير حد يقابله في بعض الشباب تطرف الى غير حد ٠ وانت معي في ان التوفيق بينهما

عسير كل العسر ومثلهما كمثل المصفد المطمئن الى قيده الناعم به، والمتحلل الحر المتخوف ان يمد الى هذه الاغلال بيده ، وبحسبه ان يرى القيد ليذوب فرقا وذعرا ويتوزع اضطرابا ورجفة فلا شىء ابغض اليه ولا اقذى لعينيه من قانون يقصد به الحد من حريته الطافرة الواثبة حتى ولو كان ذلك القانون هو (النحو) بالنظر الى التعبير او (العرف) بالنسبة الى الحياة . انه قد لا يؤمن بشىء من هذا احيانا فكل ما حمل فكرته فهو صحيح وكل جو امده بهذه من هذا احيانا فكل ما حمل فكرته فهو صحيح وكل جو امده بهذه الفكرة فهو جوه وهم بهذا يمهدون للادب العالمى الذى لا يعرف بلدا بعينه ويحاولون ان يشركوا الانسانية كلها فى متاع ادبى واحد على اختلاف طبائع التربة التى تنبته . ذلك هو حال الشباب . واما الشيوخ فبقدر ما اسرف اولئك فى التهوس والثورة اسرفوا فى القبوع والاستقرار وانقطعوا الى طريق ما تزال بهم حتى تسلبهم اول شىء (الذاتية) التى هى من الزم لوازم الادب فى التمييز بين الانتاج وحتى تضيف الى كل رطل من حقيقتهم عشرين رطلا من حقيقة الشاعر العربى القديم فالى اى حد ترى خصائص هؤلاء واضحة قوية متميزة فى جو هذه الاخلاط والخصائص . وانا لا اطلق هذا الحكم ليصدق على كل شيخ ولا كذلك ايضا لينصرف الى كل شاب . فبين هذا وذاك شيخ يتحرر من قيوده بقدر ، وشاب يحد من حريته بقدر ، وبهذا تقوم اعمالها الادبية على دعامتين من القديم الذى لا بد منه والجديد الذى لابد منه ، وذلك كما اعتقد الاعتدال النافع الذى لا بد منه ايضا لمن يحاول ان يدفع بحركته الادبية مع العالم وان يدعو لوطنه فى معارض الفكر واسواقه . فان كان لا يعرض

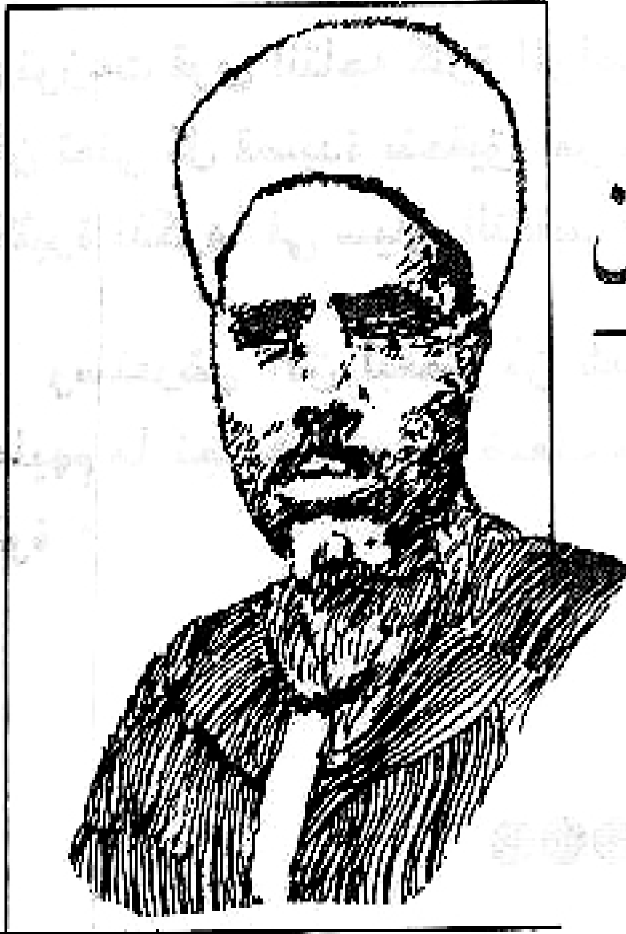
بضاعته هو ولا يقدم صناعته التى اذاب فيها فكره واجهد فى سبيلها قواه وشقي بعملها وصقلها وتهذيبها ناعما بمتاعبه صابرا عليها سعيدا بها فانه يخدع نفسه وبلده حينئذ ولكنه لا يخدع (السوق) وفيها الخبراء العالمون بمرد كل صناعة الى وطنها من الشعوب او مكانها من الاعصر وسيجنى على وطنه جناية من طريقين الاولى انه اضعف ثقة الناس به كأمة والثانية انه يشل حركة الحياة فيه ويتهمه بالعقم ويرميه بالجفاف وما هو من هذا فى شيء • واعجب كيف نتهم حياتنا بالعقم وهي حياة فيها لذتها والمها وفيها قبحها وجمالها وفيها الدوافع من حب وعطف ومن بغض وعداء ومن خير وشر ولا يطلب منا ابدا ان نصدر عن غير هذه الحياة التى ان اخطأت غيرنا فلقد وضعنا عليها نحن فماذا نفعل • ؟ ولعل التشوف الى غيرها ومحاولة التنصل منها الى غربية صراح او عربية قحة لم نألفها بعد يعد حمقا ونفاقا وكذبا لا اقل ولكنه اكثر • ولا فرق فى نظرى بين من يسرف فى تعمل تصورات الغرب ومن يغلو فى تصنع جاهلية العرب وكلاهما عدا الصدق وتجاوز الواقع •

على ان اهم ما نلاحظ على شعرائنا ان كثيرا من شعرهم لا يعنى بتحقيق فكرة خاصة ولا يعالج فى القصيدة موضوعا واحدا او مواضيع متقاربة من بعضها تمكن الشاعر من الاجادة وتدنو به من الكمال • وانما يتهيأ للشاعر ذلك اذا جعل قصيدته يخدم بعضها بعضا ويقرر بعضها بعضا وتتكاتف كلها لتخدم امرا بعينه • والفكر عالم مليء بالصور والهواجس غاص بالحياة ومرائيها ولكن كثيرا ما يحاول ان يدفع بمعارفه كلها مرة واحدة ولو قد اندفع الشاعر مع فكره فى توثبه والتفاتاته اختلط عليه الامر

وتوزعت قوى انتاجه كثرة المواضيع فيجب اذن ـ على ما ارى ـ ان تعنى كل قصيدة بتحقيق امر خاص • ولنا غير هذا ملاحظات كثيرة نذكرها فى سياق التعقيب على الشعراء •

وسنعرض الان لبعض من شعراء الشيوخ والشباب آخذين عليهم ما نجد عندهم من ضعف مشيدين بما نظفر به عندهم من قوة •





عَبْدالله عَبْدالرحمن

ولد سـنة ١٨٩٢ م ١٣٠٩ هـ بجزيرة توتى تجاه الخرطوم من والدين محسى الجنس ينتميـان الى الانصار وابتدأ قراءة القران الكريم بتوتى واكملها بامدرمان على حضرة الفكى محمد الامين خال عمه الاستاذ الشيخ محمد الشيخ الامين الضرير وكان انتهاؤه من حفظ القران الكريم سنة ١٩٠٣ م سنة ١٣٢١ هـ ثـم لازم والده متنقلا من بلد الى بلد لطلب العلم عليه وكان والده قاضيا شـرعيا فسافر معه الى ابى حمد فدنقلا الاردى فالقطينة واخذ عليه النحو والصرف والفقه والتوحيد وعلم الفرائض ٠

وفى خلال ذلك كان مواظبا على مدارسة القران الكريم كل ليلة خشية ان ينسى كتاب الله وفى اكتوبر سنة ١٩٠٦ م التحق بقسم المعلمين والقضـاة بكلية غردون وفى اكتوبر سنة ١٩١١ م تخرج من القسم المذكور مدرسا للغة العربية بالمعارف السودانية ٠

وكان مدة طلبه بالكلية فى العطل المدرسية يطلب العلم على عمه المرحـوم الشيخ محمد بن الشيخ الامـين الضرير المتـوفى سـنة

١٩٣٣ م وما يزال الى الان مدرسا بمعارف السودان وهو من مشاهير شعراء البلد .

وهذه قصيدة له نشرتها مجلة الرسالة على اثر المساعى التى كان يبذلها بعض ادباء مصر والسودان للتوفيق بين الادبين سنعرض لها بالتعليق بعد قليل : ـ

نبهت منا فؤدا غير سهوان
وجئتنا بحديث ممتع دان

فانت ترى ان هذه القصيدة لم تغفل نصيبها من الاداء القوى واللغة السمحة والتعبير المشرق المتألق بجانب حرصها على ان تكون سودانية عريقة النسب نازعة باعراق شتى الى حقيقة صور الحياة فى هذا البلد فهى ـ فى بعضها ـ قطعة من جمال الطبيعة فى السودان بقدر ما استطاع الشاعر ان يصل اليه بفكره وان يجلوه فى احساسه والا فان ما توفر اليه الشاعر فى قصيدته هذه هو اظهر ما يطالعك فى جمال السودان وهو كله او جله مما يتأتى نقله بالفوتوغرافيا . ولكن المقدرة فى انه افاض عليه من الروعة وتصيد له من الالوان ما لا يقبل مطلقا لعدسة المصور به فاسمع الى قوله يصف :

والسرح والسدر والجميز كارعة
من صيب القطر او من فيض غدران

ولقد يخيل الى ان كلمة « كارعة » هذه تمتص كل ما فى البيت من

عذوبة لتستجمعها فيها وحدها ـ وقد يوافقني الشاعر على ان هذا البيت الجميل المنسجم السائغ تقع منه في اخره على جفوة جنتها عليه اضافة مباينة لاخرى سبقتها في جملة من « صيب القطر » فان الدقة الفنية تقضي ان تكون الجملة المتضايقة بعدها هكذا « او من فيض الغدران » ولكنه كان يلحظ الوزن · وذلك على اية حال ذوقي الخاص ، ولو كنت مكانه لنكرت الاضافتين او لعرفتهما معا · ثم انظر الى جمال هذين البيتين : ـ

ما للكهارب سلطان على قمر ولا على الشمس سلطان لبنيان
كل تسيل على الافاق غرته فتملأ النفس من حسن واحسان

وهو جمال لا حد له ينبسط مع الشمس فيملأ النفس من اللذة والبهجة بقدر ما تملأها غرة الشمس والقمر من الحسن والاحسان ولو لا نبو التقديم والتأخير في قوله « ولا على الشمس سلطان لبنيان » لاستقام لهذين البيتين الكمال الادبي الذي لا يوجد والقصيدة كلها في درجة ان لم تكن قريبة من المثل الذي نريده ان يتحقق واضحا بليغا في شعرنا السوداني بريئا من الماخذ ، اخذا بنصيب لا مطمع بعده من الجودة والابداع فليست بعيدة كل البعد من هذا وانها لتقدم لنا نموذجا للادب السوداني المترقب وتضع اللبنة الاولى في بناء ادب سوداني يختلف على صور الحياة في مسارح البداوة ومكامن الحضر وما ادرى لماذا قصر الشاعر عنايته على استجلاء صور البداوة وحدها في الغالب ولعل السبب ان الحياة السودانية والجمال السوداني والحقيقة التامة للمجتمع السوداني بمعناه انكمشت وتجمعت فيما وراء مضارب البدو

الذين لم يمسخهم الله انكليزا سودانيين من بعد · ولم تعد الظباء ولا الغزلان عندهم عجائب تجلب الى حدائق الحيوانات ليستمتع بالنظر اليها اللاهون · ولم تشغل عليهم احاديث النفس والجلف والبنج بونج والبلياردو ومجامع سمرهم ومفاض احاجيهم ومطرح اقاصيصهم · وانكار محامد اسلافهم ومباذل اجدادهم · ولكن الحياة هناك مظهر النفس العربية السودانية الصافية والحياة العربية السودانية فلا غرو ان استاثرت بنظرة الشاعر وصرفته اليها فهى مغرية بحق لا مفيض للشاعر الذى يتلمس الجمال من الانصراف اليها بكل اعصابه ·



عبدالله محمد عمر البنا

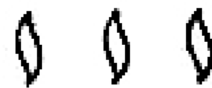
ولـد برفاعـة يـوم الخميس
٢٤ شوال سنة ١٣٠٨ هـ ١٨٩١م
وتلقى القران الكريم فى بيته ثم
ارسل الى مدرسة رفاعة الاولية
ومنها الى قسم المعلمين بكلية غردون حيث تخرج منه مدرسا فى الكلية
نفسها اول الامر وفى المدارس الوسطى بعد ذلك ، وفى الكلية مرة
ثانية ثم اعيد الى حيث هو الان ٠

والاستاذ البنا ليس فى هذا البلد من يجهل مكانته الادبية فقـد
عرف فى الرعيل الاول من شعراء السودان يوم كانوا قلة ويوم كان
المجودون منهم اقل من جيد الشعر الان ٠ وهم مع هذه القـلة التى
كانت معينة على شهرتهم جميعا وتجويدهم جميعا والتى كانت عونا
لهؤلاء ان يستاثروا بإعجاب الناس بهم سواء بسواء فان البنا لـم
يكن يرضيه او يقنعه الا ان يفتح لانتاجـه مكانا خاصـا من قلوب
القوم الذين انسوا منه ذلك فمهدوا له السبيل الى انفسهم من غيـر
ان يجهد كثيرا فى هذا ٠ وتلك الميـزة التى اختص بها من عشـاق
الادب وانصاره فبلغوا به الى ما يريد ومكنوا له فى دولة الادب اذا
اضيفت الى قوة الاستمرار وما عادت به من الخير على ادبه كانت

ميزة كبرى لم يغفل البنا استغلالها ولم يغم عنها حتى اعتاد اسمه
ولكن قد اقتطع من صلب الشعر

والمشاهير واصحاب الفنون المختلفة اذا بلغوا الى الحد الذى تكاد اسماؤهم فيه تحمل بعض الدلالة على اعمالهم كل فيما اثره وانفرد به فاعلم يومئذ انهم اصبحوا ملكا لهذه الفنون والصنائع وان اسماؤهم عادت اكثر انصرافا اليها واشد دلالة عليها منهم ٠ والحق ان اسم الاستاذ البنا يعود كغيره من اسماء مشاهير الفنون المختلفة ٠ ومن من هؤلاء الناس ان قيل البنا لم ينصرف فكره الى الشعر قبل ان ينصرف الى هذا الواحد من الناس ٠٠ وقد قلنا ان لقوة الاستمرار اثرها فى انتاج البنا وفى تدعيم مركزه الادبى ٠ ولكن هذا الاستمرار كان قد انقطع سنين طوالا على اثر صدور ديوانه ولعله كان قد قنع بما اصاب من تقدير واطمأن الى اكبار العصور المقبلة وتقديرها واعجابها به بعد ان سجل له فى قائمة الشعراء ديوانا له خطره على الاقل فان عاش كثير من الاقدمين على دواوينهم عيشا قويا لا ينقصه الا ان يترددو احياء على الارض فاحر به هو ان يحيا عليه بقية ايامه وان يعيش عليه الدهر كله ٠ ولكن ما يكاد يطمئن الى هذا الرأى سنين حتى يعدل عنه وحتى يخرج الى الناس متلمسا اثره القديم فيهم ، بادئا من حيث انتهى ، محاولا ان يمضى فى تشييد اثره الادبى وان يضيف اليه كنوزا اخرى فى مثل قيمة تلك او اكثر ولكن بعض الناس يسرفون فيقولون انه لم يضف اليه شيئا وان انقطاعه قد اثر فيه ونحن نعرض له هنا قصيدتين كلتاهما فى تحية العام الهجرى نظمت احداهما وهى (ياذا الهلال) منذ عهد ليس بالقريب والاخرى

فى هذه السنة ١٣٥٥ هـ تاركين للقراء امر المقارنة والمقايسة وامر الحكم بين من يقولون بهذا ومن يقولون بغيره • ومهما يكن امـر البنا فهو احدى دعائم الشعر القوية فى هذا البلد •



محمد سعيد العباسي

ولد بالكـوة فى رمضان سـنة ١٢٩٨ هـ : ١٨٨١ م وكان والـده الاستاذ محمد شريف نور الدائم وارث مقـام الاستاذ الطيب ولـد البشير العباسى رئيس الطريقة السمانية وللاسـتاذ محمد سعيد ديوان خاص مائل للطبع الان ٠

وفن العباسى فى الشعر فن الصناعة التى تتصل بالقلب حينـا وتصدر منه ملونة بدمه مشبوبة بلهيبه وتنفصل عنه فما يكاد يجمع بينها وبينه جامع الا انها من بعض ما يؤثر القلب لو انها له او انها مستمدة من معينة ٠ والحق انا لن نجد فى شعراء السودان من هو ارق ديباجة واشـرق اسلوبا واسـرى كلمات وارفـه جمـلا مـن الاستاذ العباسى ولكنا قد نجد عند اولئك قلوبا يحبون بها الحيـاة فى اسمى صورها المحجبة ويصلون بيننا وبينها فنبتهج ونسر ونأسى ونحزن ونغضب ونبتسم;نفعل كل ذلك تحت مختلف تأثيراتهم التى لا مفيض لنا عنها مادمنا نقرأ لهم صفحات من القلوب المحسة الشاعرة والارواح المحلقة وراء غيوم النفس البشـرية ٠ وربمـا لا يعوزنا ايضا ان نجد عندهـم مـا يرضى طماحنـا بعض الشىء وينضـح غليلنا برذاذ من فيض الصناعـة التى جودهـا من بينهم الاسـتاذ محمد سعيد يعينه عليها صفاء الطبع وحدة الذوق ٠ وانا اذ اقـرأ له يخيل الى من فرط ما المس من مشابه بينه وبين فحـول الشعراء

انى اقرأ لشاعر وشاعر مجيد من شعراء القـرن الثالـث الهجرى يوم انصقلت الاساليب الشعرية ويوم صعدت بهـا صناعة المولدين الى مستوى كله موسيقى وسحر وفتـون • ويخيـل الى ايضا انى لا اقرأ عصرا واحدا وانما اقف امام عصور شتى متعرفا اليها فى ناحية واحدةلا غيرها هى هذا الجمال الذى نلمس فيــه من اثــر العاطفة والذوق ما لا نكاد نحفظ مثله للقلب او نظفر بقريبه للفكر • وما أدرى ان كان ذلك مدعاة فخر للاستاذ او غيره • وانا اعتقد ان الاستاذ العباسى انما يعتمد قلبه فى يده وينشـر روحه بين اناملـه يوم يعطف على ذكرى أيام شبابه باكيا حسيرا متوجعا فلا تملك ان تبكى معه جهد العين ووسع الفؤاد • فما ثمة الا كلام يشتط فى الالم حينا حتى ليكاد مما نحس له من حـركة ان يتداخـل فى بعضه وان يعود الصحيفة كلها كلمات لم يملك القرطاس من أمرها شيئا فهى ما تبرح ثائرة فيه مختلفة عليه متنزية بينــه حتى اذا ما رد القارىء من غربها وكبح من جماحها استقرت ولكن الى حيـن تعبث بــه هو فما يستطيع ان يرد من غرب نفسه • وهنا مجـال الاستاذ العباسى فهو بحق يتألم صادقا فى المه كلما انحنى الى شبابه واحلام شبابه ومهد هذه الاحلام فى ظلال (الكنانة) والدهر يومئذ غض والعمـر بض والرفاق من حوله ينضحون روحــه ببـرد النعيم الذى يجعـل الصداقة حبا والمودة صبابـة ولا شىء احز ولا آلـم لنفسه من ان يلتفت الى هذا بفكره •••• وفى هذه القصيدة (الله يا حلو اللمى) ارق ما تسمع من الغزل واندى ما تسمع من الذكرى واروع ما تقرأ من التعريض ولكن جانب الذكرى فيها يعدل كل ما عندها من جمال وروعة •

صالح عبد القادر

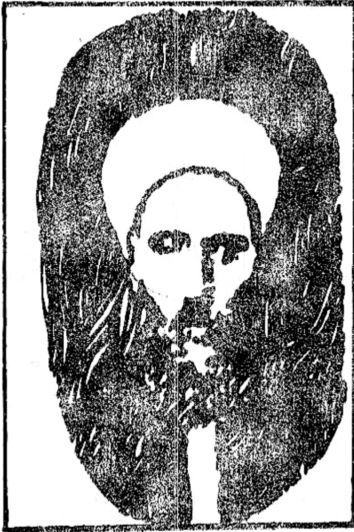
أما وقد وصل بنا الحديث الى صالح افندى عبد القادر فان اصدق ما اتمثل به هنا لقول الشاعر (ان الاديب الحر حرب زمانه) . ولو قد بلغ ما بلغ الادباء الاحرار فى معاناة الدهر وتكبد مشاقه والتمرس باحداثه فان احدا منهم لن يبلغ ما بلغ اليه صالح افندى من صراع دائم مع الايام . والعجيب ان يشقى بقدر ما هو حر وان يفشل بقدر ما هو طامح وان يتلقى الضربة القاضية فى سبيل هذه الحرية وهذا الطموح فلا يجد نفسه بعد تصفية الحساب واعلان الحكم باقصائه بعيدا عن لقمة العيش السائغة الا منسيا ولا يجد أُمته الا غافلة عنه ساخرة منه مستخفة به . واى سخرية واى استخفاف اكثر من ان تنظر اليه وهو يتحرق فى ضرام من سوء الحال ونكد العيش فلا تهتم به . ولكأن صالح افندى كان يقرأ ما اعد له فى الغيوب المحجبة من مصير . فما فتئ وهو مستخف يتجنى على الدهر الذنوب ويعتب عليه انه فعل وانه صنع به ولم يكن ذلك الا مجرد احساس روحى بما يخبىء له المستقبل ، وما اعرف من ابناء هذا البلد من هو احرص على تقويم ما اعوج من اخلاق امته من صالح افندى عبد القادر وهو يسلك لهذا طريق النقد الصارم احيانا فيوجع ما شاء الله له ان يوجع فاذا انتهيت من قصيدته الى اخرها تخيل اليك انه يلفظ فى اخر بيت منها اخر نفس منه من فرط ما تنقطع به من الم واجهاد .

أبو بكر محمد عليم

والا رحم الله (عليما) فلقد كان الشاعر الذى يصرف فنون القريض على اوضح مذاهب البيان ويأخذ اساليب النثر على اجمل وجوه البلاغة ، مستهديا بما ثقف من صور الشعر والنثر فى عصورهما الزاهرة متوفرا على دراسة الادب العربى ورجاله حتى اوجد بينه وبينهم الصلة فى هذا البيان وهذه القوة .

وشغفه هذا بالادب العربى كان خيرا كله للادب والتاريخ فقد وجه همته تحت تاثير ما قرأ وما شدا من صوره الى ان يؤلف فيه وان يضيف اليه فكان جميلا ان يتناول اخصب ناحية من نواحى هذا الادب فى افتن واسحر مهجر له ... فى الاندلس ، موحى الشعر ومضطرب السحر . الاندلس التى نشأت ابن زيدون مزارها الفرد فى حالتى نعماه وبؤسه . وانه لتوفيق عجيب ان يعرض شاعرنا المرحوم الى ابن زيدون فى رسالته التى تعد من اروع مآثر الاقدمين فلا يقعد فيها دون مدى غيره ولقد اسمى كتابه عنها (الدر المخزون فى شرح رسالة ابن زيدون) اما شعر عليم فبحسبك ان تقرأ له ما تختاره له هنا لتدرك الى اى حد كان نصيبه من الاتقان .

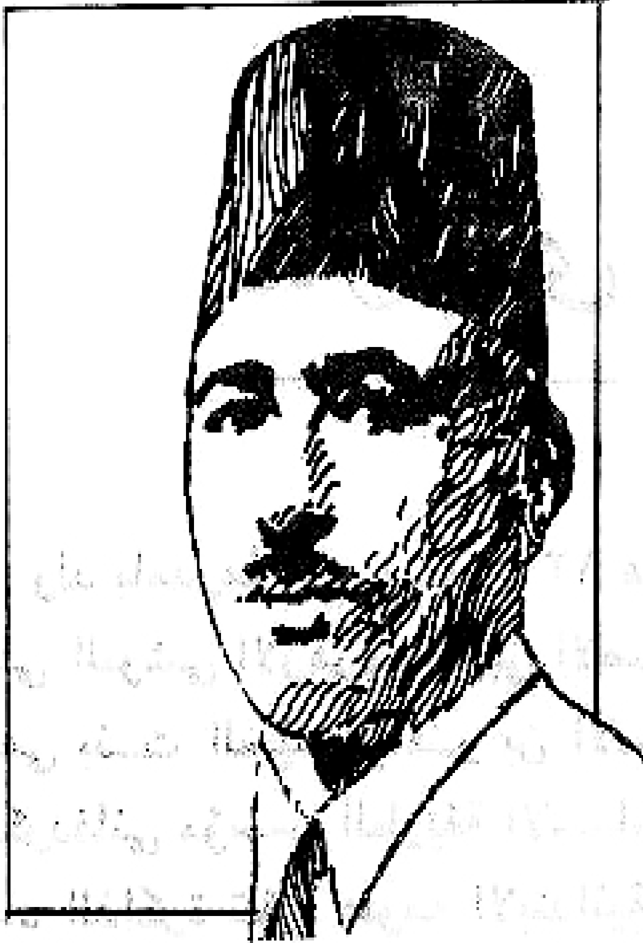




مُدثر البُوشي

ولد بامدرمان فى سنة ١٣٢٠ هـ : ١٩٠٢ م ابوه العلامه الشيخ على البوشى الازهرى مغربى الاصل اما والدته فدنقلاوية (بديرية) رهى بنت السيد الباقر بن الاستاذ الاكبر اسماعيل الولى الكردفاني مؤسس الطريقة الاسماعيلية • نشأ مدثر ذكى الفهم حاد الذاكرة تلقى علومه الابتدائية بمدرسة مدنى الوسطى ونقل منها لقسم القضاء الشرعي بكلية غردون وفى سنة ١٣٤١ هـ ١٩٢٣ م تعين عاملا قضائيا لمحكمة مدنى الشرعية ثم قاضيا لتسجيلات مديرية النيل الازرق فكان منصرفا الى دراسة الادب حتى اشتهر به كاتبا بقدر ما هو شاعر وبالرغم من دماثة اخلاقه فانه لاقى ما لاقى من حساده الذين ما تركوا بابا للايقاع به الا طرقوه ولكن الله لم يمكن لهم منه • وللاستاذ مواقف فى الخطابة المشهورة واكثر شعره فى الاجتماع ولمناسبة الاحتفالات الدينية ومع ذلك فهو سليط اللسان ان هجا قرأت له قصيدة من هذا النوع ليست باقل وقعا على النفس من هجاء ابو الطيب لكافور قالها يهجو بها بعض الذين كانوا يسعون بينه وبين رؤسائه •





محمود أنيس

هو من اولئك الذين يسر اليك مظهرهم انهم شعراء وتعلن لك نظراتهم أنهم من ذلك النوع الممتاز في تركيبه عصبا واهواء وامزجة واحساسا وانت بعد لم تحظ بشرف الحديث اليهم او الاصغاء لهم . وتلك ظاهرة ما زالت اجهل مأتاها ومرجعها من نفس الانسان . وترى الواحد من هؤلاء فتنفض شخصه بنظرتك الاولى التى هي في الغالب فيض من الوحي والالهام فينتقل الى روحك احساس عميق بانه فيلسوف او شاعر او فنان او ما الى هذا ثم لا تكون قد ابعدت بحدسك عن امره ، واذا هو واحد من هؤلاء ، واذا هو في حقيقة نفسه الثابته مصداق طائف وهمك فيه وطارىء حدسك عنه ، ولعل السر في هذا ان المظهر الوجدانى في الشاعر يكيف ملامح وجهه بظلال هي الشعر . وقل مثل هذا في غيره .

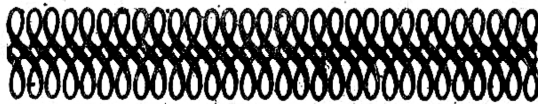
ولد محمود افندي انيس سنة ١٣١٠ هـ : ١٨٩٣ م وتلقى علومه الابتدائية بمدرسة امدرمان ثم تخرج منها الى تلغراف السكة

الحديد ، وفى طبع محمود غرابة النوابـغ فهو ميـال الى العزلـة والاختلاء بنفسه عزوف عن (الجماعة) يؤثر دائما ان يتحدث الى قلبه وفكره بما يتصل به من اسرار الحياة ولعل لهذه العزلة اثرها البليغ فى جعل انتاجه هادئا رزينا لا يتعرض للحياة الا فى احداثها الجسام التى تتسلل اليه فى مخبئه وما تعتم ان تكون جـزءا منـه ويومئذ يتناولها بقلم المصور اللبق ويتعرض لهـا بنظر الشـاعر الحكيم فلا ينفض يده عنها الا وقد نفخ فيهـا شيئا من روحه الواقد واحساسه الملتهب ٠

وهو مخلص لفنه يصدق كثيرا فى نقـل مشاعره فلا يـزور ولا يخدع ومن هنا كان اشد ايمانا بشعره واطمئنانا على آثاره الادبية كلها فانت اذا حدثته فى شىء منذ هذا قال لك انه هكذا رأى وهكذا احس فلا عليك ان لم تر ما ارتا ه هو ٠ وهذا الاسـتقلال بالـرأى مصدره الاعتزاز بالنفس والثقة بها وهو لا يفرض عليك رأيه فرضا ولكنه يحاول جاهدا اقناعك بـه فيظل يبسط اليك صـوره الشعرية ويحدثك عن مؤثراتها والجو الذى يشيع فى نفسـه من هذا التعبير او هذا التركيب او هذا الوضع مثلا ٠ ولـه فى ميدان الاجتماعيات الهامة قصائد عدة ٠

●●

الان يعمل لحساب نفسه حرا طليقا من القيود متوفـرا على تنميـة ادبه بالقراءة والانتاج ٠





حسين منصور

ارايت الجندي يوم تعصف بـه نوازع قلبـه الثائر ، وتهدر بـه شقاشق عزمه الملهوب وتنفـــرى منه نفسه الواحدة عن مثل لوافح القيظ ، ويساقط من جفنه الجاحظ شرر دمه الفوار • وخيال روحه المستبسل • أرايته كيف يصلب ويصخب • وكيف يمضى على الخطر ويذهب • ساحقا كل اعتبار متخطيا كل عرف مضربا عن كل امل • يهمه ان يرضى ثورته وان يقول للعالم بعدها اصنع ما شئت •

اذا هـم القى بيـن عينيـه همـــه
ونكـب عن ذكـر العواقـب جانبـا

ذلك هو بعينه حسين افندى منصور • جنـدى في حديثـه في روحه في شعره في تفكيره • قوى في كـل هذا ثائـر في كل هذا • يعينه في ثورته هذه سخطه على العـالم وموجدتـه على الاكـوان وحرمانه من جسام اماله التي لا يحملها الا مثل رأسه ولا يحلم بها من كان في مثل طماحة الغريب •

ولــد حســين افندى بمدينــة امدرمان حوالى ســنة ١٣٢٣ هـ : ١٩٠٦ م وهو مصرى الاصل سودانى المولد والبيئة • تلقى علومه الاولية بمدرسة امدرمان الابتدائية ثم درس بضع سنين بالمدارس المصرية الثانوية بالقاهرة وكان شغوفا بالاستطلاع وبحث المراجع الادبية ولقد شاءت الظروف ان يعين مدرسا للريــاضة بالمشيخــة العلمية بامدرمان ولكنه ما لبث بها زمنا حتى انشد قصيدة فى العام الهجرى ذهب فيها مذهبه فى ثورة فكره معرضا ببعض الزعمــاء كقــوله مثــلا

ولســـت بمثــن على احمــد (١)
ومفتى الديــــار ولا الجــــارم (٢)
وغيــــرهم مــن رؤس البــــلاد
والنفــــر القــاعـــد القـــائم
الى ان ارى (عــــوة حقــــة)
تــــــرد الاصــــــول الى آدم

ولما نوقش فى قصيدته استقال من منصبه كمدرس وسار الى مصر واخذ يسعى هناك لايجاد منصب يليق به وما اظنه وفق الى تحقيق غايته لوفرة المتعلمين وضيق نطاق الوظائف هناك وليته بقى حيث نشأ وترعرع فالسودان أبر به واحوج القطرين الى علمه وادبه •



(١) الشيخ احمد محمد ابو دقن شيخ العلماء

(٢) صاحب الفضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضى قضاة السودان



عبد القادر ابراهيم

كتلة من الخيال الجامع القوى المسترسل ، ومجموعة مدهشة من الاحساسات الغريبة المتناسلة في اغوار النفس ، ومشاعر جياشة مرهفة تسمع دويا للصمت وتحس حركة للسكون . ولقد يخيل الى ان فى نفسه مغاور وكهوفا شديدة الحلكة تستفرخ فيها مشاعره وتكمن فيها اخيلته فان اطارها منها صدرت وفيها هذا الاثر الغريب .. فانت ما تبرح فى حاجة الى ضوء تقرؤه به .

ولهذا النوع من الشعر انصاره الكثيرون الذين يروجون له ويدعون اليه وهو يتطلب نفوسا غريبة الوضع غريبة التكوين مزودة بنوع خاص من الاعصاب مهياة الى تلقى الاثار الخارجية بقدر محدود .

وفى الغرب تقوم دولة هذا الشعر الطيفى على ارسخ اعمدة من الالفة والاعتياد . بل نجد هناك الشعر الذى يسمونه رمزيا وهو من خصائص متصوفة الاسلام ولا يزال منهم حتى اليوم من يجود بالعجيب المدهش من هذه الرمزيات .

وعندنا ناشـئة سـلكت بالشعر مسـلك الانقطـاع العميق الى مختلف اثار الـذات الباطنة فاستقطروا فى بعض قصائدهم لمعـا وانداء تحدث عن خيال ملحاح فى طلـب الغريب ، وتضـع صورا واضحة وغير واضحة للفكر فى اغرابه وافتنانه وتلفتاتـه البعيده وقد قدمنا للقارىء رأينا عن شعر الشباب والشيوخ فلا حاجة لنـا باعادته هنا ٠

ولد عبد القـادر افندى بامدرمان فى سـنة ١٣٢٦ هـ : ١٩٠٩ م وهو من قبيلة المريوماب تلقى علومه الابتدائية فى مدرستى سواكن وامدرمان الابتدائيتين ونقل للقسـم التجهيزى بكلية غردون فكان خير مثال للطالب المجتهد المكب على دروسه الحريص عليها ٠ وبعد ان اتم دراسته تعين مدرسـا بالمدارس الوسـطى وكان فى خـلال ذلك كله لم يغفل نصيبه من دراسة الادب وتفهم موضوعاتـه حتى حفظ كثيرا من شعر شـعراء العصر واطلـع على غيـر قليل مـن مؤلفاتهم فى العلوم والاداب فكان ذلك كله خير ما يهيأ اديبا مثـله للانتاج ٠ ولقد طالما قرأنا له فى الصحف المصرية والمجلات العلمية قصائد وموضوعات تدل على انه سوف يخضع لجبروته مستعصب البيان وهو من دماثة الاخلاق وكـرم الشـمائل بحيث يبدو لناظره فى ابهى سمات الكمال ٠



محمد السيّد حمد

قليل من يعرف عن هذا الشاب انه شاعر يتقطر رقة ويجيش قلبه الكبير بكثير من صور الجمال الادبي ٠ ذلك لانه اشد رغبة عن الظهور وعزوفا عن الشهرة في وقت اقل الناس حظا من الادب اكثرهم شوقا ولهفا الى الظهور بمظهر الادب والشعر ٠ وان فيما ننشر له هنا من شعره لدليلا على انه مارس هذا الشعر منذ زمن بعيد حتى استطاع ان يصل الى ما وصل اليه من عذوبة النظم وسهولته ٠

ولد بامدرمان في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١٠ م : ١٣٢٥ هـ وهو محسى الجنس تلقى علومه الابتدائية بمدرسة امدرمان الوسطى ثم تخرج منها موظفا بقوة دفاع السودان عام ١٩٢٥ م حيث لا يزال حتى الان ٠ وهو وديع الا خلاق ناصح الجيب رفيق الحديث ٠

حسن نجيلة

وهذا الفتى الشاعر يمضى على مذهب فى النظم قوى واسلوب فى البيان معجب ، وينهـج الى التعبير عن فكـره المنهج الذى يعمد اليه كثيـر ممن يؤثـرون من اللغة جانبهـا الخصـب · هذا الفتى الشاعر يحاول جهده الا تنقطع الصلة الحية بينـه وبين جيـل ابى تمام ولكن الى حد · ويحرص جهده ايضـا ليكون لـه نصيب ممـا خلدوا به على الدهر فلا يرى الا هذه القوة التى وثـب بها الطائى على كتفى التاريخ وزحم بها ابو الطيب مسمعى الدنيا حتى ما لغيره فيهما من دوى · وان الاستاذ نجيله ليجعل كل همه الان ان يستهدى بابطال الادب العربى القديم فى طريق القوة الادبية ولعله بالغ منها ما يرضى طماحه وما احسب قوة شبابه الا مسددة له فى هذا حتى يوفى على الغاية ان شاء الله ·

ولد بمدينة سنجة سنة ١٩١٠ م وتلقى علومـه بمدرسة العرفاء ثم تخرج منها مدرسا بالمدارس الاولية حيث هو الان ·



عبّاس العبيد

ولد سنة ١٣١٠ هـ بالجيلى وفيها ترعرع وربى وتعلم القرآن بمساجدها ودرس مبادىء العلوم بمدرستها ثم دخل كلية غردون فالتحق بقسم المعلمين والقضاة فى اكتوبر سنة ١٩٠٨ م واتم دروسه وتخرج مدرسا بالمدارس الوسطى · ولقد كان وهو يطلب العلم بالكلية كثير الاعجاب باستاذه المغفور له الشيخ عبد الرؤف سلام الذى لقبه رصفاؤه بالقاموس الحى لما له من علو كعب فى العلوم العربية عامة واللغة خاصة لذلك ترسم خطاه فعكف على حفظ اللغويات بمطابقة تفاسير القرن واستظهاره كثيرا من الاشعار حتى كان له من ذلك والحمد لله نصيب ارضاه وكفل له فهم ما فى بطون الكتب · ولقد نظم الشعر وهو طالب بيد انه اعتاد الاقلال كان الاستاذ رحمه الله نفث فى نفسه من هذه الناحية · ومع هذا فقد طرق فى شعره مواضيع عدة من محاولة اصلاح ووصف طبيعة واستغاثات ومدح ورثاء وغزل عدا اناشيد للاطفال فى مختلف الاحوال وهو يعتزم ان يطبع كل هذا « متى انتعش ورفع عن كاهله عبء اجور تعليم الاولاد الباهظة · »

عَبْدُ الله حَسَن كُرْدِي

ولد عبد الله فى مدينة كسلا سنة ١٣٠١ هـ كـردى الاصل تلقى علومه فى مدرسة سواكن وتخرج منها الى الاعمال الحكومية وهو شاعر فحـل مكثر ياخـذ بنصيب كبيـر من سلامة البيـان وطلاوة النظم ٠

★★★

فى الشعر العربى والشعر الاجنبى

حول رواية "مجنون ليلى"

لم يكن الادب العربي منذ بدء عصره الاول حتي عصرنا هذا الا ثوبا فضفاضا تخطر فيه العربية ولكنه ـ ويا للاسف ـ خال من كل وشي وتنميق : ولم يكن الا ذلك الثوب الذى ابدع فى حياكته الاقدمون بفضل ما لهم من قدرة علي ذلك ٠

بيد انهم لم يعملوا فيه يد الفن ولم يرسموا عليه صورة الجمال ٠

واستمرت العربية تخطر فى ثوبها هذا زمنا لا يقل عن خمسة عشر قرنا حتى حان وقت تنميقه ووشيه ٠

وحتى اتاحت لها الظروف من يقوم بهذا العمل الجليل ويمسك بثوبها الضافي ليضع فيه وحيا الفن والذوق السليم ٠

انها لظروف حسنه تلك التى قيضت لها من يحس بحاجتها الى مظهر يكون له فعله بعواطف الانسان ٠ الى مظهر لو قدر للعربية ان تظهر به يوما ما لما انصرف اكثر ابنائها الى الادب الغربى ولما استعذبوا مورده ومرعاه بينما يسيل ماؤها عذبا رقراقا نميرا ٠

ويبدو نباتها مجتثلا اخضر تنضوا عليه الطبيعة كل ما لديها من

جمال وبهاء ٠

اقول انها لظروف حسنة تلك التى اهابت بأمير الشعراء ان اقبض بيراعك وضع زهرة تلو اخرى من ذلك الثوب حتى لا يبقى ثم من فراق ٠

ولم يلبث امير الشعراء الا ان هب وامسك بيراعه حتى اخرج الزهرة الاولى على ذلك النمط الغربي اللذيذ تلك هي رواية (مصرع كليوباترة) وحتى اتبعها بشقيقة لها ربما حلت الصدر من ذلك الثوب البديع ٠

وتلك هى رواية (مجنون ليلى) وحسب القارىء وصفا لمبلغ هذه الرواية من الاهمية ذلك العنوان الذى يكاد يكون ناطقا بكل ما كان بين هذين الحبيبين من حب وغرام اقصي ما استطاع ان يفعله بهما هو الموت من طريق البعد والاقصاء ٠

بعد ان فعل ما فعل بقيس وجر ما جر لليلى ـ وكم يكون المؤلف مبدعا فى هذه الرواية بل فى هذه الفاجعة الغرامية ٠

وكم يكون فنانا فى ترتيبها الذى اوشك ان يكون سماويا لم تتحكم فيه يد البشر ٠

وما من احد الا ويدين بما لشوقي من قدرة على تصوير العاطفة الغرامية فى ارحم ثوب واقساه وكأن شعاعا اليها قد اتصل به حتى جاء بما ليس للبشر اليه من سبيل ٠

انظر اليه وهو يمثل الحب في ابهى ثـوب تهيمن عليه القداسـة والجلال في قول ليلى :

يعلم الله وحده ما لقيس   من هوى في جوانحى مستكن
انني في الهوى وقيس سواء   دن قيس من الصبابة دني
انا بين اثنتين كلتاهما النا   ر فلا تلمنى ولكن اعنـي

(٢)

اراني حينما اقف امام (شوقى) لاخذ عليه بعض مـا يقوله لكالذى يتطاول ما يقصر عنه المتنـاول ·

وما كان لى ان اقول لولا منزلة (شوقى) من قلـوب الناس وموقع شخصيته من افئدتهـم اجمعيـن

ولكن وانا اعلم ان للحقائق وانصافها قوما لـم يذهبـوا بعد · فلست ابالي ما دمت مصيبـا فى قـولي وهـا انذا ابـدى ملاحظة (ليست بالتاريخية) وارى انه لا حرج على في ابدائهـا ما دمـت معجبا بهذه الرواية وما دامت هى الاخرى جديرة بالاعجاب ·

وقد ترى معي يا سيدى القـارىء انها ليسـت بالملاحظة التى تنقص من قدر هذه الرواية ولا التى تسـلبها ما حـازته من قبـول واعجاب · الا انها في جانب كبير من الاهمية لان المؤلف باعتباره مؤلفا روائيا لا شاعرا فحسب ، كان عليه ان يلاحـظ كل موضـع دقيق من هذه الرواية فيلبسه ثوبا ملائما له · فضلا عن ان يسترعى انتباه السامع ويقف به على دقة الصنع والابداع ·

ينتقل بنا المشهد (حول ديار بني ثقيف فى قرية من قرى الجـن حيث اجتمعت طائفة للحفـاوة بقيس وهـو يهيـم على وجهـه فى

الفلوات ـ وبينهم شاب فى شكل انسى جميل ، وهو الاموى شيطان قيس ـ والجميع ينشدون ويرقصون · وبعـد نشيد طويـل يســأل بعضهم بعضا (فيم اجتمعنا مهنا) والى ماذا جئنا وماذا نريد ·
واذ ذاك يجيبهم الاموى شعراً :

بنى الجن فى ارضكم عابر من الانس يرفل فى ضمره
فغالوا به واعلمـوا انــه فتى نبه الشعر من قـدره

واننا لو سقنا المشهد من اوله الى تلك الفقره لاقتضى ذلك منـا تطويلا ونحن احوج الى الاختصار · وكـل ما فى الامر هو انهـم لبثوا مكانهم حتى ظهر لهم قيس (بدحرجه الفضاء) ولم يكن منهم الا ان التفوا حوله منشدين)

سلام ملك الحـب وســلطان المحبــين

وهنا يلتفت قيس يمنة ويسرة وقـد اخذ به الوهـم كل مأخذ : (رب الى اين انتهت بى السرى وهذه المسوخ حوله جنة ام عمل الوهـم وتهويل الكرى)غير انه لا يلبث ان يتحقق انهم جـن ·· (تلك مـن الجن لعمرى شرنمة) وحينما يرى الجن ان الرعب قد نفذ الى قلبه يهدونه بقولهم :

نبى الحب لا تخشى اذى او تـرة منـا

وبعد ذلك ياخذ الاموى فى شعره يضمـن بيتين لقيس لم يكن فـاه بهما قط ·

بل لم ينبس منهما بكلمة واحدة حتى يسمعها غيره ·
وانما قالهما واحتفظ بهما فى ضميره ودونك الابيـات مضمنـا

فيها بيتا قيس :

تركت وراءى الشام لم احفل به
ولا هــو من شوقى القديــم شـفانى
وعدنا الى نجد اقــاسى صبابتى
ووجــدى كأنى مــا برحــت مكانــى
تركتك ليــلى فانفجــرت لــيالــيا
مؤلفــة الاشــكال جــد حســان
فلم يخل سيرى منك يوما ولا السرى
ولــم يخــل مــن تمثــالك القمــران
عن كل ارض من هواك سوارح
مــلأن سـبيلى او ملكــن عنــانى
(واجهشــت للتوبــاد لمــا رايتـه
وكبــر للرحمــن حيــن ر نــــى
واذريت دمــع العيــن لمــا عرفته
ونــادى باعلى صـــوته فدعـــانى)

ثم يدنو منه قيس غاضبا حانقا وهو يتامــله ويقــول فى نفســه ما الذى اومى بشعرى لهذا الغلام المدعى فى حين انه لم يسمع به احد ولم يتحرك به منى لسان .

ويتهمه بالسرقة فيرده الاموى قائلا :

انا الملقى عليك الشعــر مـــن آن الى آن
انا الهاجس والشيطان

فينكــــــره قيـــــس ؛ لا لا لست شيطانى

ويدعى انه يقول الشعر من نفسه ٠

وكان من مقتضى هذا الانكار والادعاء ان تنصل عنه الاموى تاركا له العنان ليقول الشعر وحده ان استطاع (قل وحدك الشعر إذن) ٠

هذا ما قاله الاموى وهو ما سقنا من جرائه هذا الكلام اذ انه كان مما يقتضيه هذا التنصل والانفراد ان لا ينطق قيس بمصراع صحيح لانه قد تجرد عن المادة التى كان يستنزل منها الشعر سابقا :

ولكن انظر ماذا قال قيس (تظنني لا اقدر) فهو مطابق كل المطابقة للمصراع الاول ٠

وكان من واجب المؤلف وهو يريد ان يثبت ان قيسا لا يستطيع ان يقول الشعر وحده ان يتحرف هذا المصراع ولو قليلا كان يقول (اتظنني لا اقدر) او نحو ذلك ٠ لا ان يتركه ينطق بهذا صحيحا ثم يتبعه بصدر بيت اخر حينما يساله الاموى ان يصور له هذا المشهد ان كانت له قدرة على الشعر ٠ وذلك قوله :

اسمع اذن يا اموى

الاموى؛اننى انظر

ثم ياخذ قيس فى كلام هو الى النثر اقرب منه الى الشعر ولكن لو فعل المؤلف ذلك بادىء ذى بدء مراعيا مثل هذه المواقف الغامضة لما كان للانتقاد سبيل ٠

واخيرا اهنىء شوقى وامته العربية وابناءها بهذا النجاح العظيم الذى يؤذن بمستقبل باسم العربية ومجد زاهر لكل من نطق بالضاد ٠

في المستوى الشعري للأمم

"١"

بحسب الشعر ان يكون اثرا للجمال الاعلى في الارض ، وقبساً من النور الالهي في العالم ، وقوة من السحر السماوى في الشاعر يفتح به من مغاليق الكون ما أقعد الفلسـفة أن تنفد من رتاجـه ، والعلم ان يصعد على معراجه ؛ ويعالج به من مصايد الروح ماتعيا به حبائل العقل وأقضية المنطق · ويصور به خطرات ما كان ليعلق بها الوهم في مضارب هذه النفوس لو لا ما للشعر من دقة والشاعر من رقة ··· والشعر بما يغدق من كنوزه على العـالم ويفرغ مـن روحه على الانسان ، وما يخضد به من شوكة الشر ويقضم به من مخالب البشر لجدير ان يكون بعد الانبياء رتبة في اصلاح ما فسـد من عناصر النفس وابترد من حرارة القلـوب وأغلـق من أبـواب السماء · وان من أكبر الدلائل على سـمو الخير في الامـة وتمكن الامة من الخير أن يكون لها من ذوقها الشعرى ما يدفعها الى تفهم الجمال الحق في أدق مظاهره الشعرية التي قد تكون سكونا وقـد تكون حركه او شيئا منها · وقد تكـون صمتا وقد تكـون كلاما أو شيئا بينهما · والتي هي لمحـات وايمـاء في عبـارات كالصور أو صور كالعبارات · تفيض بها النفس من داخلها أو يطفح بها الكون من خارج النفس ··· وان من أكبر الدلائـل على سـمو الذوق في الامة أن يكـون للجمـال المطلـق في كل مسالك حيواتهـا منـزلة

(المعبود) وللشعر المطلق فى كل مخادع صبواتها منزلة (العابد) وسمو الذوق احساس وتأثر ينميه ما فى النفس من هيام العاطفة وتحرق الفكر ويبعثه ما فى طبيعة القلوب من وله بالجمال وايلاع به ، وسكون اليه واخلاد له ٠ فعند كل أحد ذوق ولكن بقدر ما يعرف عن الجمال ويقوم بنفسه منه ويتركز على ذاته من معانيه٠ والجمال انما يفيض على الافراد بقدر ما يجدهم من استعداد لفهمه ٠ ومنزلة الثقافة فى تفهم الجمال وتكوين الاذواق منزلة ثانوية ٠ فقد يوجد بغيرها الذوق ويفهم من غيرها الجمال ولكنها تجيء فتفجر منه ينابيع الشعر الذى يؤسسه الذوق وتركزه العاطفه وتمده من لهيبها القلوب ٠ ثم يرجع الجمال فى نهايته فيحيا فى أطياف وظلال من وحى وكلمات هى ٠٠٠ الشعر ٠ ويعود الشعر فى نهايته فيكون جمالا وذوقا وذاتا فيها من الحسن مالا يوجد فى الحسن نفسه ٠ فالشعر جمال وذوق وذات ٠ والمستوى الشعرى للامة انما يثبت على هذه العناصر الثلاث ٠ فبقدر ما يفهم ال ذوق الجمال ٠ وبقدر ما يخلق الذوق والجمال والشعر ٠ وبقدر ما تخرج فى مجموعها ذاتا هى الحسن أو أكثر من الحسن تكون الامة ويكون مستواها الشعرى بين الامم ويكون مقياس هذا المستوى الذى نتحدث اليك عنه ٠٠٠٠

الان فقط تقوم فى (مصر) نهضة شعرية يخفرها الشباب الذى يطفر الى الآفاق فى قفزة ما امن له معها أن يزل فيسقط او يكبو فيعتل ٠ وان مصر الان لتريش للشعر ما حص من جناحه المهيض وانتزع من قوادمه وخوافيه واسّاقط من زغبة وانتشل من ذناباه ولكن فى سرعة وتعجل ٠٠٠ ولكن فى قوة واندفاع.مصر الان

يقودهـا الى السـماء رسـل الشـباب فيقحمونهـا في الفضـاء ويستكرهونها في مسالك الخيال الذى تمده النفوس الشابة وتبعثه القلوب الفتية ويركزه الدم الناشيء الفـوار · وفي الشباب قـوة وللشباب جبروت وفيه ما في البحر من فوران وثورة وعتو وعنـاد وجزر ومد وتدفع واهتياج فليس عجيبا أن تكابد منه قـوة غلابـه وعرما طغى على قدميها فغمره في حين أنها حتى أمس ··· أمس الذى وقف فيـه « شوقى » على قصـر « الحمـراء » في الانـدلس فاستنشده « يا أخت اندلس » فأنشده (١) والذى استعدت العربيه فيه « حافظا » على لوثـة العجمـه وغواشي الصـدأ فاسـتعداها بتائيته المشهورة(٢) · حتى امس الذى وقف فيه حافظ على حافة القبر واستصرخ رصيفه في الفن وأميـره في البيـان فمشى على اثـره دراكا ولحق به كما تتلاحق القذائـف الصـاعده (٣)·· حتى هذا الامس الذى كان يوجه دفته مهيار وابن هانيء · ويعترف زورقـه البحترى وأبو تمام ويمسك بمجذافيه ابن الرومي وبشـار لم يكن لمصر عهد بمـا تفـرغ منـذ اليوم على قالبـه تطبـع على غـراره في الشعر وأساليب البيان ومذاهب التفكير المنتج وطرائق الانتاج المتعة · وانه لعهد جديد ما في ذلك شك وباب من السماء يفتحـه على مصراعيه شباب الكنانه ويزحمه على سعته شـعراء (النيل) فهي الان سحر وجمال تسير بخطي واسعة نحو انقلاب ادبي يمهـد له الشباب في جرأة واقدام ويحسب لها غيرهم الف حساب من لغـة وأوزان وقومية ووطنية وصبغة وطابع · ويتعذر علينا ونحن نكتب عن المستوى الشعرى لمصـر أن نتبين بوضـوح فى هذه السـماء القائمة ما يصح أن نسجله لمصر كمقياس لما وصلت اليه من درج أو تحدرت له مـن درك · وطبيعي أن يكـون من نتيجـة هذه المعـارك

اضطراب المستوى الشعرى وفقدان الطابــع الذى يميــز مصر فى شعرها وادبها وتفكيرها حتى تهدأ هذه الثائره وينقطع هذا الصريخ ويتراجع هذا اللجب المنبعث من قرارة الوادى فيؤثر قديم أو ينخب جديد · ولعل ما نلمحه الان من تزلــزل واضطراب وما نلمســه من تبلبل وارتجــاج فى مستوى الشــعر ومقاييس الاذواق يرجــع الى تباين فى فهم الجمال مبدئيا ؛ وبالتالى الى تباين فى الوان الثقافه واجواء التأثير · ولن يظل هذا التباين كثيرا حتى يستقيم الامر الى الشباب الجامح فيتجه بموكب الشعر الى عبادة (النور) ومجاثــم الدهور ومعابد الزهور الى عرائس البحر واطيــاف النهر وســحر الربيع وزخرة الينابيع ···(٤) ذلك هو الشــعر الذى يكون أثــراً للجمال الاعلى فى الارض وظلالا من الــروح الجاثــم فى ملكــوت السماوات ؟؟ وأما ما يصاقب مصر من شام وعراق فلم يكن ليؤثر على ادبه فى هذه الايام الاخيرة ما أثر على مصر · فهو يقبل مــا ينحدر اليه من الغرب ويمهد له أساليبه ويوطىء له من نفوس كتابه وشعرائه ليحتلها فيتكون به وتركز به من طابعها الادبى فى ســلام وهدوء ولهذا وحده تجد الطابع الشعرى فى العراق ولبنان أشــد وضوحا منه فى مصر · ولهذا وحده أيضا تكون النهضة الشعرية فى سوريا ولبنان أثبت قدما منهــا فى مصر ولكنهــا اخــف وزنــا وأضعف علاقة بالخلق والانتاج من مصر بهما · والادب السورى أدب (كنيسه) يتحرق على (مجامره) الشعراء والكتاب وتســتاف من عطوره نفوسهم الهائمه التى طبعت على الرقه واللــين وحــب الجمال · وفى أدبهم نواقيس واجراس وفى شعرهم أثر (المسيحية) وهو الطابع الوحيد الذى يميز أدبهــم من غيــره · أمــا المســتوى الشعرى لهم فهو حيث تركــه (جبران) ·· خيــال وافراط ما تكــاد

تتبين معه الامتعة الخيال · وانطلاق الى غير مدى فى هذه السبيل·
وان كان لنا أن نعلل بقاءهم علي هذا المستوى أو أن نقول كلمتنا
عنه فانما نعلله بشيء واحد وهو انهم انما يعبدون جبران ويتخذون
منه مثلا اعلى للجمال الروحي وقصيدة بليغه من قصائد الحب
المطلق فكل انتاجهم من بعده ضرب على قيثاره ونسج على غراره·
أما البلاد العربية الاخرى فما تكاد نحس لها بطابع ذاتي فى الشعر
لأن النهضات فيها غير قوية او لأنها لم تتصل بعد اتصالا وثيقا
بالنهضة الادبية الحديثه · ومما يصح ان يكون تعليلا لهذه الظاهره
حفاظ بعض هذه البلاد على طابعها العربى القديم وعدوانها للجديد
بكل ما فيها من حمية الشرق وحفيظة العرب ، وغيرتهم على
تاريخهم المغلوط فيه من هذه الناحية الادبية لا غيرها · نعم انهم
انما يحافظون على تاريخ مغلوط فيه ولو اتيح للعرب انفسهم الذين
كونوا لنا أدب الصحراء أن يعيشوا معنا فى هذا العصر ـ عصر
المدهشات فى كل شيء ـ لما كان لهم من التعصب ما يدفعهم الى أن
ينكبوا بأنفسهم على طريق هذه الحياة ولجنحوا بدابهم الى

مسايرة روح العصر باوسع ما في الوجود من معنى لهذه الكلمة ·
وكل حفاظ أبنائهم من بعدهم انما هو جهل بما تبعته هذه الناحية
فى تاريخهم من جمود فى حين تسعى الامم بادابها الى مغاليق
الوجود فتزحمه على ما فيه من أرواح وأشباح · وماذا يضير
العربى أن يحتفظ ببيانه وأن يعمل فى استغلاله ولكن فى غير ناحية
الحياة البائدة التي من عبث الايام أنا ما تزال تسمع بين ظهرانينا
من يحدو ابلها بما قرأ من أدب امرىء القيس وحنق من تفكير طرفه·
أكان لهذا معنى وفى الرءوس افكار وفى الجوانح قلوب · · ·

وفي الهند تغلب على الشعر فلسفة (طاغور) (٥) وروحانية (اقبال) ـ اقرأ ما كتبه الاستاذ عزام في مجلة الرسالة عن هذا الشاعر المسلم ونشره له من قطع شعرية (٦) · وأدب الهند أدب روحانيه وزهادة وتصوف · يرفض من قصائد شعرائه حنين ولوعة وجلال وقدس ولمحات من الحب الالهي في اطار من الطلاسم والالفاظ · ومهما يكن من أمر الهند في الشعر وأسلوب الشعر وطرائق التفكير والانتاج فيه فهو لن يهبط به الى درك الشرق ولن يصعد به الى مستوى الغرب ·

ولئن لم تكن في كثير ولا قليل من لغات الغرب فان ما حنقناه بالواسطة من أدبه ولقناه بالدليل من أسباب الترجمة ووسائل التعريب الجديربأن يلقى علينا ظلالا من وحي (باريس) والهام لندن وانتاج (ادنبرغ) (٧) · ولن يقف في سبيلنا كثيرا ما نحس به من فواصل اللغة وحدود المكان ونضيق به من ثقافة قاصره وفقدان للوسيله المباشرة ان نكون لنا رأيا عن هذه الاداب وان اعوزنا أن نتصل الا بظلها في المر ة · او قعد بنا ان نتفهم من جمالها الا ما يفيض على لغتنا من طرقها في التفكير وقوتها في التعبير وهم يقولون ان ما تقرؤه من أدب الغرب وشعره معربا الى لغة الضاد فهو لن يخضع الى النقل والتعريب الا بعد ان يفقد كل ما فيه من روعة الاسلوب وعذوبة الصيغ وجمال التراكيب ·· وهم يقولون ان اعجاز الغرب وقف على لغته وهو في غيرها مسخة من كلام· فقل لي بربك ماذا كان ينقص الغرب في مالدينا من مآثره · وأين ما يعاب عليه من مآخذ الا انه جميل معجز ···؟ وفي هذه الآداب الثلاثة وغيرها يقف الغرب الشاعر منا موقف القصيده من الكون والفكره من الاسلوب والحياة من وحدة الزمن · أجل يقف الغرب

الشاعر منا موقف الحياة من وحـدة الزمن تدور حـوله كما تدور (العقرب) حول الساعة والساعة حول الزمن والزمن حول الحيـاة فهو الان وحده الذي يركز شاعريتنا ويمهد لهـا طريقا بجانبه وهو الان وحده الذي يفيض علينا من غريب ما اثـره من كنـوز العقـل وعجيب ما أحرزه مـن نخائـر القلـب ·· فى هذه الاداب الثـلاثة وغيرها يتجلي ما للغرب من عظمة فى الشـعر ومنزلة مـن الحياة الشعرية التى لا تعرف للارض الا طريقـا واحـدة هى السـماء · فالشعر الذى استفرغ على أحضان (الفرنسية) والشـعراء اللذين درجوا في معاهد (المانيا) وزخرت بهم مسارح (اوربا) انما أفاضوا على هذ اللغـات كنـوزاً من الايحـاءات وصـوراً مـن الجمـال الالهى ! ··

وفى اليونان نهض الشعر بجانب الفلسفة من لدن نهض التاريخ من مرابطه وهو منذ تلك الساعة يتعثر بين مسالك العقل والقلب · يغالب الفلسفة الموروثه طابعها ويتفيأ من ظلالها بقايا ما بمده على مضارب (اثينا) وجبال (أميتوس) · ولو لا ما تلطف منه الموسيقى وترقق منه الفنون لكان جافا الى درجة البحـوث العقلية · وهيـام اليونانية بالموسيقي من عهد (هوميروس) وأبعد منه هيام مستحكم فى نفوس (الاثينيين) يقولون ان اللغة العربية يوم مهد لها التاريخ أن تقف من اليونانية موقف الناقل لم تظفر بشىء من أدب اليونـان لتهالكها على تعريب ما خلفه سقراط وأبقراط · ولو رغبت فى نقل ما أثره هوميروس وغيره من الشعراء والادباء لكان لأدبنا اليـوم شىء اخر · ولكنا نقول ـ مع مراعاة انها لم تظهر رغبـة فى نقـل شىء من ادب اليونان ـ انها وهي فى موقفها الحاضر وان لم تكن أزخر أدبا وأمتن علاقة بالادب والشعر مـن اليونانية في موقفهـا

لحاضر فلا أقل من أن اليونان لم تنفرد بكثير من الاحساس هي منه
على قطيعة وتناكر (٨) · وان ما تبثه اليونان في شعرها وأدبها
ن أساطير ليكاد يرجع بها أحيانا الى سذاجة الاطفال (٩) ··
بحسبك أن تقرأ عن (سافو) فيما كتب عنها في مجلة الفجر انها
انقلبت موتها الى (بجعة) لتحكم على تأصل الاساطير وهيمنتها في
هذا الادب الذي لم تعرف الارض أدبا قبله تحت هذه الشمس (١٠)·
ولو لا ذلك أي لو لا ما تلطف منه الموسيقى لكان صورة لما يقدمه
لنا (افلاطون) في جمهوريته معرضا بأصحابه ساخرا منهم هازئا
بهم في اسلوبه اللاذع المرير · وخلاصة القول ان المستوى الشعري
عندهم انما تتعهده الموسيقى وهو لا يستطيع ان ينفك عنها فيثبت
أو ينفصل عنها فيقر ····

أما في السودان :

أما نحن ··· نحن أيتها الامة المسكينه فانما نعيش على هامش
الحياة ·



في المستوى الشعري للأمم

(٢)

مما نحمد عليه الله ان دراستنا للشعر العربى لـم تكن من نوع الدراسات التى يتناولها بعضهم ناقصة من كتب العصر مبتورة من بين يدي الكتاب ، ثم يصدرون عنها وهم اشد قنوعا واكثر ثقة مـن نفوسهم بما فقهوا من صور الادب واستظهروا مـن الوانه ٠٠٠٠ انما كانت دراستنا له دراسة استقراء وتفهم يؤسـسها انقطاعنـا الى قديمه وهو اذ ذاك يدلج ويأوب بين مضارب الصحراء ومسالك العراء يحب ويبغض ، ويمدح ويهجو ، ويفاخر ويتوعد ، ويتحيـف ويثور ، ويدل ويصلف ، ثم هو فى بداءة الاسلام يفحمه ما نزل على « محمد » من بيان واعجاز فيطرق فى حيرة ، وينصت فى اعياء ، ثم يتحركفى بطء وقد القى عليه « القران » من ضوئـه ما القى ٠ ثـم يعود الى قديمه ولكن فى غير خشونة البادية بعد ان صـقلت منـه روح الاسلام ما علق به من جفاف ٠ ثم هو بين قصور الخلفاء ترقق منه النعمة ويلطفمنه الجاه ٠

اجل مما نحمد عليه الله ان مهد لنا من دراسـة الشـعر العربى ما يؤهلنا للحكم عليه فى ضوء الحديث والبحث عما اثـر فيه مـن عوامل وعمل فيه من مؤثرات فى كل ما مـر بـه من اطـوار ، حتى وصل الينا يحمل من صور العصور وطابـع الحضـارة الاسلامية ما افاضت به عليه قلوب الشعراء ٠٠٠ وصل الينا ونحن فى عصر

عرفت فيه الحضارة طريقها الى العـالم وتغيرت فيه الحيـاة تغيرا ظاهرا يكاد يكون انقلابا ، يقتطع من تاريخها كل قديم ويمسـح من حسابها كل سابق وامتزجت فيه الامم بارواحها امتزاجا لا محيـد عنه بعوامل الاستعمار والسياسة والاقتصاد ، وتوحدت فيه انظمة التعليم وطرائق البحث وتقاربت فيه الثقافات · وكان مـن الطبيعي ان يكون ذلك ·

من الطبيعي ان تتغير الحياة وتمتزج الامم ويتجه موكب العالم اتجاها واحدا يجعله يضيق بماضيه في كل شيء لانه يضيق بحاجته الى الحياة ولا ينهض برغباته التي اثارها في نفسه من جديد لم يكن له به عهد من قبل · ومن هنا ابتدأت الامم تفتـرق في داخلهـا بمـا ترسم من خطط تعين بها نقطة الاتجاه في بعث القديم وحفظ الجديد فاسرعت الامم وابطأنا ، واصابت الشعوب واخطأنا · سـواء في ذلك بادىء ذي بدء نصيب كل البلاد العربية ومن هنا كانت العوامل التي جعلت الشعر العربي يدين للادب الغربي في كثير من الاعتراف بما له من تفوق عليـه · ذلك الغـرب الذي لـم يكن لـه من العظمة الادبية ما كان للشرق في سنينه الاولى وعهد نهضته الغابرة ·فأي قوة وأي سر هذا الذي دفع به الى هذا المستوى الشعري واطل بـه من هذه الابهاء السامقة والشرفات الرفيعة ؟ واي سـر ذلك الذي قعد بالشرق مكانه الادبي حيث هو قبل الف سنة من التاريخ ؟ ·

نحسب ان من بعض مؤثرات ذلك ان ادباء الغرب انما يتعهدون قديمهم بالصقل والتهذيب فيضيفون اليه ما تدفع بـه العصور فيما تستجد من حيوات وما تبعث به هذه الحيوات من حاجـة وما تلبس هذه الحاجة من صور واشـكال ، ويدرسـون شعراءهم في شـرح

وتحليل وبحث عن نواحي عظمتهم الادبية فينتجون فى تراجمهم عن هؤلاء ادبا مستقلا يزيد من صفحات التاريخ ويضيفون به الى ادبهم صفحة جديدة من صفحات الفكر الحديث ٠٠٠

وانا وان كان لنا من امثال ابن الرومي ومهيار وابى العلاء وغيرهم ممن يمثلون الحضارة العربية لا جفاف البادية ما يكون مدعاة فخر ومظنة عظمة شعرية فلم نحاول يوما ان نشرحهم شرحا وافيا نتلمس فيه ما لهم من القدرة التى كانوا يعالجون بها مواضيعهم ، وما عندهم من نبوغ يجعلهم اقرب الى الحياة فى كل العصور الاتية وما فيهم من النواحي الخالده التى تستحق الاكباره لم نعالج يوما ما ان نحلل شعراءنا على ضوء الحديث وان نتفهم ما استودعوا قصائدهم من لذة وافرغوا عليها من روح حتى نسايرهم ونتأثر خطواتهم ونحن اشد رءما عن انفسنا بما حذقنا من الوان الادب وما ابتعثنا من قادته ومؤسسيه ٠

ولو كان لنا ان ندرس فى استقراء وتعمق شعراء العربية الذين رخرت بهم دولة (الامويين) وازدحمت بهم قصور الخلفاء فى الدولة العباسية على ضوء هذا العصر لما كان لامة ان تحرز من العظمة الشعرية ما ينبغي ان نحرزه نحن الشرقيين ٠ ومن اجل هذا الأهمال اصيبت العربية فى ادبها بقدر ما اصيب الادب فى رجاله ، واصيب العرب فى تاريخهم بقدر ما اصيبوا فى مجدهم الفكرى الذى كان من حقنا ان نبعثه من مرقده حياً مكتمل الحياة الى جانب آداب الامم الاخرى ، ولا يتسنى لنا ذلك الا بدراسة الشعراء على ضوء العصر الحاضر وان ادبنا العربى لغنى بما فى دواوين شعرائه من كنوز ولكنا لم نوفق بعد الى البحث عنها توفيقا تاما

يكفل لنا استخراج تلك اللذة التي تحيا في غزل بشار وشعر ابن ابى ربيعه وخمريات ابى نواس وذلك الالم العميق الذى يدفق من شك ابى العلاء ، والوصف الدقيق المعجز والصور الحية المتحركة على لوحة ابن الرومى ·

وما نقص شعراء العربية شيء من المتعة ولكن ينقصنا نحن ان نعمل في استخراج هذه الصورة من بين قصائدهم التي نقرؤها على انها مدح او هجاء او غزل او ما الى ذلك في حين يفوتنا درس ما لهم من خصائص التفكير وميزة التعبير وما عندهم من موهبة الخلق
خصائص التفكير وميزة التعبير وما عندهم من موهبة الخلق
والابداع · نعم في حين يفوتنا ان نفهم ادبهم في غير ظاهره وان ننحو به نحو استعدادنا العصرى الذى يقوم على تهويل كل ما من شانه ان يخفى حتى عن الاوهام ·

نريد في دراستنا الى الشعراء ان نصرف ما يمكن صرفه من ادبهم على غير وجوهه الى ما عسى ان تحتمله الفروض وان نخلق من حبهتم قبه وان نضخم ونهول ونفترض فنحل منه مشاكل ونخلق فيه مشاكل ونبعث فيه غموضا يفسح لنا في طريق البحث والانتاج · وما احسب ان طريقا انفع واجدى الى دراسة الشعر والشعراء وتحسين المستوى الشعرى للعربية من هذه الطريق · وما امن على نفس من هذا الرأى ان ارمى فيه بكثير من الشطط · ولكن لا · فانا اول من يحقق ما اقترح واول من يبدا على هذا المنهج بدراسة شاعر او شاعرين على اكثر تقدير ·

ومن بين هذه المؤثرات التي كان لها اكبر اثر في الوقوف بالشعر العربى حيث هو الان انقطاع المادة المنتجه انتاجا قويا اشبه بالحياة

فى هذه الايام · ولا ننكر ان ما بين ايدينا من الشعر العربى لم يكن الا انتاجا قويا اشبه بالحياة يومئذ ، ولو اتصلت هذه المادة المنتجه اتصالا وثيقا منظما متجددا بتجديد الايام فى قوة وارتباط اذن لكان للادب العربى اكبر فضل فى تاريخ العالم ومـن ثم كان عصـر بنى اميه والعباسيين صورة من هذا الاتصال المنتج ، لان المادة كانـت متماسكه لم تنقطع خلال ذلك متسايرة مع ما يطرأ على الخلفاء مـن جديد ولكنها على اثر هذا بدأت تنحل بانحلال الحـكم وتضطـرب باضطراب الدولة الاسلامية حتى وصل بها الاسترخاء الى انقطاع اشبه بالموت فى اخريات عهد (الفاطميين) وما بعده · ومهما يكـن من مسببات هذا الركـود الادبى فهو حقيـق بالدرس والتمحيص ، حقيق بان نعمل فى سبيله كل جهد حتى يدرأ عن ادبنا خطرا محققـا يهدد دعائم الشعر بالاهمـال ويعصـف منه بما بقى من نمـاء بين حفاظ القديم وتهور الجديد · وليس ادعى للنجاة وتفادى الخطـر ورفع الخمول من ان نكون وسطا بين المرتبتين حتى نضمن لقديمنا ان يحيا وللمستوى الشعرى ان يثبت على دعامة الحياة الجديدة ·



القمر والزهر
وأثرهما في الشعر العربي

ذهبت والبدر ـ وقد والله هذه ليلتــه الرابعة عشر ـ يتحــدى الشمس بما يفيء علينا من نور وظلال ولكن اى نور مما يتطرى به القلب ويندى به الحسن ، ولكن اى ظلال مما يضر بها طائف خفيف من الشعاع كأنه الحلم الهادىء الرفيق تسرى به في جنبات النفس سنة خفيفة هانئة ، ومضجع سعيد رافه.ذهبت الى احــدى حدائــق الخرطوم فى امسية كأنها مما زخرف الامل الحــلو ووش الخيــال الشاعر ، وقد قطعنى فيها عن المضي الى داري مشاغل ما انا بخال منها ابدا كلما اقترب على المجلة الاوان ولامسها احد طرفى الشهر • فبقيت حيث انا ، حتى اذا ضقت بما فى المطبعة من عجيج وحركــة خرجت الى حيث انا ذاهــب الان معتزما فى نفسى كتابــة الموضوع الذى ارى ان قد تاخر واخذت منه المشاغل حتى لتكاد تفيتنى ايــاه. وكنت يومئذ احمل فى راسى فكرة تامة للموضوع • وكان هو ان يتهيأ واستقام من تلك التى يعدها بعض القوم جافة لانها من نوع ما تكره عليه النفس التى لم ينعقد بينها وبين أمثاله الفة ويؤخذ عليها الفكر اخذا عسيرا ان كان القارىء من اولئك الذين يحيون الحياة ملساء رخوة لا عسر فيها ولا اخشيشان بل من أولئك الذين قــد يصنعون حتى كلمة اخشيشان هذه فى قائمــة ما ينبغى ان تعفى النفس مــن الحمل عليه او الاتحاف به ، لانه يكلفها سماع ما لا تستأنس به او

تطيب له • وكنت لا ارى بدأ من كتابته لانه يقوم مني مقـام الايمان ويحتل منه مكانة العناية ، فلا خلاص منه الا بـان اتوفـر لـه هذه الساعة حتى انفض يدى منه الى غيره من شؤون المجـلة ، ولكني انسيت فجأة كل هذا ، انسيت حتى الموضوع وحتى النـاس وحتى المجلة وانصرفت الى ما قـوى في نفسي من هـذا المرض الشعرى الذي اعينك من ضرواته يـوم يطغى ويعنـف • فليس في تعـاويذ السحرة ورقى المطببين ماهو متطبع بحال ان يذهب به عني ، فانـا مأخوذ منه بكل اطرافي مذهوب بي فيه كل وجه مما تتلمح فيه قطرة من جمال شعرى قريب او بعيد اظل اتأول لهـا في الفكـر الصـلة والدلالة والغاية وطالب فيها ما يطلب في الكلام من مجاز وكناية • واستعين على فهمها بوسـائل هي في الواقـع اكثـر منها شماسا وابعد مطلبا ان اخذت على غير وجهها في حقيقـة الوضـع • والا فماذا في قواعد البيان والبديع وما الى البيان والبديع مما يصـح ان يكون مرجعا في هذا او عونـا عليـه • ولكن لا فـان التجربـة الناجحة هي التي اغرت بهذا من قبل •

لقد اخذت مكاني في الحديقة من بين تلك المقاعـد التي احسدها على طول ما اقامت وتقيم بين هذا الجمال المفاض والنعيم المفـرغ وقذفت بما في يدى جانباً وكان اضبارة مـن ورق ابيض • وتعرفت الى جوانب المكان فاذا هو خلو إلأمن أو انس من اولئك اللواتي في كل ما يتصل بهن مشابه من هذه الحديقـة بهجـة وشبابـا ونضرة والهتنى طلعة البدر وروعة الزهر وتزاويقه واصباغه عما امضى له من شأن فاذا انا احلم وافيق ولكن كما يفيق المسحور واهنأ بهذا الحلم والذه الوانا من اللذة التي ما ذكـرت اني مفارقها الى لقيـة

اخرى الا وامتلات نفسي لها الوانا من الحسرة والالم لان داري
ليست مما تنبت الزهر وان اطلعت القمر ، وهي بما انشقت عنه
وزهت به من شجرتي الحناء التي لا اعرف لها اسما والنخلة التي
غرست يوم ولدت تسعى لتقنع بانها مطلعة الزهر ايضا ان اردتها
عليه · ولكن لا يا داري فانهم يقولون ما كل هند هند ، وركبت
رأسي نشوة جعلتني اضيق ما اكون بافسح ما كنت له · فأنا الان
لا اقصر همي على ان اتملأ من هذا الجمال والحسن وكفى · وان
بي لطماحا واهفا الى شيء لم اتبينه لعله ذلك الخاطر العجيب الذي
يقول ابلع هذا واستنش ذاك وخذ البدر في يدك واطو ما بقي من
رقعة الحديقة وتأبطها وسر الى حيث شئت · لعله من هذا فما
بعجيب على مرضى الشعر ذلك وليس اجن منهم في عرف الواقع
ينعمون في موقع الايمان منهم بما يسخر به الاطفال في موضع
الكفر ولا استبعد ان يكون هو وان لم احاول ان اخبر بنفسي كيف
اطوي الحديقة واستخلص الى يدى القمر · وتفقدت نفسي فاذا
انا فاغر الفم موضوع الاعضاء على تظام لو نفخ فيه لطار ، بل
لطرت انا اذ كنت مستغرق الشعور كمن يسمع الى موسيقى ليست
من هنا فهو في جلسته (موزون) بها على تقاطيع الشعر ومختلف
انواع النغم ·· وتابى (المضايقات) الا ان تلحقني حتى هنا ·
صديق خبيث ظل يتاثرني على غير علم مني حتى اقتحمت الحديقة
فاقتحمها هو واضطجع منها جانبا في العشب وخلى بيني وبين
ما اريد حتى اذا راى انى اطيل في المكث ولا اكتب وفي ضوء القمر
ما يمكن من هذا مشى الضراء لئلا اراه ووقف خلفي منشدا : ــ

خذ من محيطك ما تبقى فان به
ما شئت من قمر حلو ومن زهر

قلت الا قاتلك الله أفانت هنا • ومن قال لك انى جئت لاكتب ومن اين لك ما انشدت •

قال هو عفو البديهة ولا والله ما تهيات له ولا تعصرت فهل لك ان تنظم في هذا قلت لا ولكنى ساكتب عن القمر والزهر واثرهما فى الشعر العربى من يوم ان اتصلت به ايامه المترفة ودرج على ضوء من فتنة فارس فيما تزخر به قصورها من هذا النعيم والترف ولم يكن من قبل يتوفر فى هذا الا ما لا غنية فيه لاحد • نعم لقد كانوا ينعمون بهذا البدر اكثر من ننعم به نحن • ينعمون به على ظهور النوق الليالى الطوال وعلى مضارب الخيام دهرهم الاطول وكم هنالك للبدر من سحر وفتنة • ومن لم ينعم بالبدر فى الصحراء فهو لم ير البدر عمره ، غير ان اكثر الصور الادبية التى تشير اليه وترمز الى سحره محدودة ضيقة فيها بساطة البدوى وجفاف بيئته ولو اجتمع حتى اليوم من الشعر مالا يرمز البدر فيه الا الى وجه المرأة لاستوى مجلدات ومجلدات ولو اجتمع ايضا مالا يمثل الزهر فيه الا خدود الحسان لاستقام مكتبة باكملها • ولم يفتح الله حتى الساعة على كثير من الشعراء ما يستخلصون به من طلعة القمر والزهر الا ما مضى عليه البدوى فى جاهليته الاولى • وكانوا ينعمون ايضا بهذا الزهر ولكن نعمة البدوى بما يرى انه متاع الحضر حتى اذا اطعمتهم فارس صنوف حلواها بالهجرة • وارتهم مباهج دنياها بالفتح ، ولقحت الذهن العربى القوى بخصائص ليست له من قبل واضافت اليه من رجالها من نفخ فى الادب انفاس فارس وخلاصة ذهنها الخصب وحياتها الرافهة كان لهذا الشعر نبأ اخر فى زعمائه المجودين وامرائه المترفين ومشاهيره من صاغة

الكلام ، وكان لهذه الحياة العربية نبأ اخر ايضا يفسره الانقلاب العظيم الذى طرأ على الجزيرة فنفضها فى اول اعماله من الخمول والصمت واشعلها حركة داوية لا تسكن الى متع الحياة وزخرفها الزائل • فاذا ما اطمئن الاسلام هناك واذا ما نفد الى الاصقاع والممالك وهيأ مكانه فيها وانكمشت الخلافة الرقيبة المحافظة الصارمة بدأ يومئذ العهد الجديد يتفتح عن مباهج الحياة •

فهؤلاء ندماء الخليفة فى قصره معه ، واولئك مغنوه وتلكم جواريه ، وغلمانه وخدمه وحشمه وشعراؤه ومفرحوه ومدخلوا السرور الى قلبه وفيما بين هذه الاحياء تنتشر مجالس الشباب المترف ومجامع اسماره ويستكثر الامراء والولاة لانفسهم من المتع واللذاذات •• كل هذا يكون فتنفرج الدنيا عن كنزها الخبيء ومتاعها المحجب وتفيض النفوس بالادب المترف الجميل • ويحرص الأمراء والعامة على اجتناء اللذة الادبية مما يستلهمه لهم الشعراء من شتى مظاهر الوجود التي لم يعودوا يقنعون منها بشيء قليل ومضى الشعر يأخذ من ترف الدولة وفراهة الحياة ورفهها ما يأخذ ، وكانت الصور المغرية الفاتنة ، والتصورات المحببة الجميلة ، يمدها الحسن الشائع في الوجود ومن بينه بل وفي مقدمته هذا القمر والزهر • وشاعر امير كابن المعتز يمثل لنا اهم نواحي هذا الادب المترف بتصوراته والتفاتاته العجيبة في كل ما اتصل بحسه الراقه •

وللقمر عند ابن المعتز مكان العناية والايثار فهو يتطلع اليه هلالا كالزورق الفضي المثقل (١) ، وما يزال به حتى يعود من المحاق كانه وقف اى (دبوس) من العاج : ـ

في ليـلة اكـل المحـاق هـلالهـا
حتى تبـدى مثـل وقـف العـاج (٢)

وفى ارجوزته البستانية (٣) اطرف ما تقرأ في وصف الزهـر وتشابيهه واغرب ما ترى من حدة تصور ابن المعتـز وبعد التفاتاته الذهنية ، ولقد اثـارت الزهـور بين كبـار الشـعراء مناظـرات ومساجلات عبقـة بهذا العطـر الخالد فخلفـوا لنـا ثروة من ادب الورود هي اليوم اصدق ما يحدث عن حياة الفن والجمال الخالص عندهم · وعن مجالس الانس ومجامع اللهـو والشرب ، وما كانت تزخر به من ظرف ولباقة وافتنان (٤) · وابن الرومي كشأنه دائما يأخذ بحظ غير قليل من هذا وهو معروف بحبـه للنرجس وانتصاره له وقد قال في نرجسة : ـ

ظلـت تسـامـرنـا وقـد بعثـت
ضـوءا يلاحظنـا بـلا لهـب (٥)

وعلى ابن الجهم (٦) · وابو الفضل المكيالي الذى يقـول في وصف الشقائق : ـ

كأن الشقائق اذ ابـرزت
غلالـة دار وثوبا احـم
قطاع من الجمر مشبوبة
فأطرافها لمع من حمم (٧)

وابو فراس الحمداني الذى يقول في الجلنار : ـ

وجلنـار مشـرق
على اعـالي شـجرة

كـأن فى رؤوســـــــه
احمـــره وأصفـــــره
قراضـــة مـن ذهـــب
فى خرقــة معصفرة (٨)

وابو الفتح كشاجم الذى يصف النرجس فيقول : ـ

ونرجس زاكي النسيم بض
مثل العيون رنقت للغمض
ترنو فيغشاها الكرى فتغضى (٩)

وابن هانى الذى قال فى زهرة رمان وقد شارها الشائر قبل اكتمال النضوج : ـ

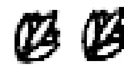
وبنت ايك كالشباب النضر
كأنها بين الغصون الخضــر
جنان بــاز او جنان صقــر
قـد خفقتــه لقــوة بوكـــر
كأنما سحت دما من نحــر
أو نبتت فى تربــة مـن جمــر
لو كف عنها الدهر صرف الدهر
جاءت كمثــل ٠٠٠ الخ (١٠)

وغير هؤلاء ممن تفتقت مشاعرهم وانشقت لهم الدنيا عن مفاتنهـا

فوصلوا منها الى سر الجمال ونفذوا منها الى اعماق الفتنة ٠ ولولا ما ارى من ضيـق الصفحــات لذكرت للقارىء ٠ هنــا اروع ما دار

حول القمر والزهر من شعر حتى يتبين ان لهما ثلث الادب العربى ٠

وبعد : فلقد صرفنى القمر والزهر ليلتئذ عمـا قصدت اليه حتى دفعت الى القارىء بما لم اقصده ، وابقيت الى فرصة اخرى ما اريد ٠٠ وكم للقمر والزهر من فتنة واغراء ٠



في الأدب والتاريخ

القيادة الفكرية

إلا لست اريد بها القيادة الفكرية فى التاريخ وان كان هناك الافراد الذين وضعوا في الحياة اثرهم الذي يقود الحياة ، وأعلنوا فى الارض سلطانهم الذى يقهر الدهر · وخلقوا هذا التاريخ فهو وقف يشرد ذكرهم فى الافاق ، وينشر من مبادئهم فى العالم ، ويجدد من جهودهم فى الاصلاح ، ويسير بهم الاناء ويستفيد بهم الدهر ، فلا يفتر وهم فيه ولا يشح وهم عنده ·

انا لست اريد بها هذا وانما اعنى بها القيادة المحلية لهذا الفكر السودانى فى حين لا الامر عليه بواضح ولا المسلك لديه بمعروف · وهذه الحياة من حوله تستجد فى كل يوم احوالا من التقلب والوانا من الاوضاع يدفع بعضها بعضا الى ضرب من الحياة اشبه بالسحر وادنى الى الخيال ، فيه بهجة الفردوس واضطرام الجحيم وحركة العاصفة ، وهو يقف من هذا كله موقف المأخوذ يقلب نظره الحائر على الم الحرمان ان لم يكن له من يدفع به في هذا الضرم الفكرى وقد صهر الاجناس على شتى انواعها من الناس ، واحترقت به الامم التى تعود اليوم اشد صفاء في العنصر على نسب بيننا وبينهم فى الخلق قريب ، وانحدار كذلك من منفذ للوجود واحد ·· وهؤلاء الناس هم الذين قرروا فى الارض جبروت الانسان وانتصاره على قوى الكون الهائلة واغرابه فى صوغ الحياة

الصوغ الذى عرف الفكر كيف يوجد به دنيا سحره ومضطرب اعاجيبه فهنا العلم يغزو ويفتح منتصرا ابدا مبدعا اليوم مفزعا غدا وقد عقد له اللواء واكتمل له السلطان وانحنت امامه الحياة خاشعة مطرقة ترقب ما يفجأها به من فتح جديد ، وهنا النظريات التى تصطدم وتتألق وتفترق وتلتقى ، والمذاهب المخربة المتضادة والاراء المختلفه المتغايرة والنضال المستحر بين العلم والطبيعة وبين الفكر والدين وبين الباطل والحق · والدنيا القائمة القاعده التى تشهد من هذا كله ما يزحمها بالنشاط ويضرمها بالحركة على حين تحمل فى طرفها الاخر شعبا هو هذا تهدهده رعشة الزلزلة فى الطرف الاخر فينام على خور وينهدم على فتور ، فمن المسئول عنه وما هى « الوسائل المجدية فى استجماع امر قيادته الفكرية عند من يحرصون ان يوجهوا به وجهة الحياة والنور ·

من العجيب الا يكون للمذاهب الفلسفية او الادبية على كثرتها أثر فى هذا البلد · والنضال الذى يحتدم ويستحر فى بطون المؤلفات وعند انصار رأى واشياع اخر ودعاة مذهب واتباع اخر انما يصرخ بعيدا عن عالمنا هذا · وحتى الذين يقبسون لنفوسهم شيئا من هذا القبس الفكرى لم يوجد بعد لديهم الايمان القوى بأن الترويج لهذه المذاهب والاراء والنظريات يصح ان يتقدم بالحياة هنا خطوة واحدة · ولهذا فانك غير واجد عند احدهم ايمانا صحيحا او مناصرة حقيقية لما قرأ من مذاهب او شدا من افكار · لان الواقع ان الذى يحيا هذه الحياة الفكرية يغريه شوق عنيف الى الحديث عنها والدعاية لها بشتى الوسائل غير مبق جهدا فى سبيل تعميمها وسوق الناس اليها وبثها فى ارواحهم مؤمنا بقوة الحق الذى فيها مطمئنا الى ما تحمل من خير ونور ولن تجد ايضا من

يدعو او يبشر بمذهب ادبي خاص يقتنع بضرورة الاخذ به ويكافح مخلصا في الدفاع عنه والتعريف به والتحبيب اليه ، فهل معنى هذا ان ليس في العالم فكر ؟ وهل معنى هذا ان ليس في الوجود مذهب ؟ أم هل معناه انا امة اكثر همها ان تحيا الحياة في اخف اوضاعها فتلتفت بها الايام ويلتوى عليها الدهر وكأن لم تتمتع ابدا بشعاع من نور العقل ؟

الواقع ان السودان اليوم على رغم ما يروجون عنه من دعاية للفكر كاذبة ليس هو الا بلدا لا سلطان للفكر فيه بحال وليس يألف ـ ان اتفق لـه من هذه الحياة العقلية شيء ـ اخفها على العقل وايسرها على النفس ، والا اطرافا من اطراف من الفكر الذى لا يمكن الا ان يدفع بها في كل مجتمع يتألف من هذا المخلوق الناطق. ولو قد كان هذا هو كل ما يصح ان يقوم به امر الانسان فان الغرائز وحدها لكفيلة ان تسد مسده فلا حاجة لنا بفكر لا شأن لـه الا ان نعرف به بسائط الوجود وتلك ادنى خدمة يفرض على الفكر اداؤها ليخدم بها الحياة هذه الخدمة الضئيلة التى تمسكها على ابسط الانظمة حتى يكفل لها الاستمرار في طريق الموت وحياتنا الان ليست بخير من هذا فلا فكر كما قلنا يزحمها بالنشاط ولا مذاهب ولا اراء ولا حركة للعلم ولا نماء من المعرفة ولا قيادة في كل هذا تحاول ان تقدم لنا الغذاء الصالح لتندرج به في سبيل العقل الذى يمسك بطرفي الدنيا فيفرجها عن كنوز هى نصيب الانسان وحده وبها يملك من معاني الانسانية اروع برهان على خلافته في الارض . واذا كان لدينا من يؤمنون بوجود هذا الفكر الذى يخلق التاريخ وينضر الحياة ويحقق السعادة ويخلد الانسان

فانهم لا يبشرون به ولا يدعون اليه حتى لقد الفنا يوم كان لنا ان نعرف ان فى العالم فكرا هو غير هذا الذى نحمله على نسيان له ونشقى به على تغاف عنه ان نقنع بانا لم نخلق لمثل هذه الحياة وما تزال بنا هذه الالفة حتى لتوشك ان تعود حقيقة لا مفيض من الوقوع لديها ما دام الواحد من هؤلاء المثقفين لا يطمع فى اكثر من ان يقود نفسه الى القراء وان يفرضها عليهم وهم يجهلون كل شيء عن مدى ما تاخذ الحياة الفكرية منه ·

الحق ان المكلفين بقيادة الفكر فى هذا البلد هم قوم لا يقودون الا انفسهم الى الناس فى الوان من الكتابات ليس لها من القيمة ما يهيأ لها النفوس ويستلفت لها النظر · والكاتب ان لم يفن فى الحياة ويدن الى الامة فيما يحمل لها من صور واراء فيها نفوذه الشخصى وايمانه وحريته ودم قلبه واثار روحه فى صدق النبيين واخلاص المجاهدين قاصرا كل قواه على ان يثير فيها من الشؤون والافكار ما هى مؤمنة به لا محالة وعاملة له من غير تردد ، فانه لن يكون فى انتاجه لها منسيا ابدا ضائعا ابدا مستنفدا جهده فى غير ما طائل من ذكرى او اثر ·

وتلك هى الحقيقة التى يقع تحتها كل كتاب هذا البلد على قلة من تغنى باسم الكتاب ، وان الواحد منا ليكتب كثيرا ولكن ان رجع الى ما كتب ليقيس مدى ما ترك من اثر فى تحويل الفكر وتوجيهه او تلقيحه باللقاح الذى يقدر له ان يخلق فى نفوس قرائه ما كان يقصد به اليه لم يلق الا كتابات تطول وتقصر على محض كلام هو كل ما لا حاجة ببلدنا اليه الا ان اصحابه يزورونه على نفوسهم ويختلقونه اختلاقا محاولين ان يصبحوا به من طبقة الكاتبين لا غير هذا وانهم

ليخطئون جدا فى محاولة الوصول الى لقب الكاتب او المصلح او المفكر من وراء هذه المحاولات وما هى بمحققة من ذلك شيئا الا ان تنعكس دليلا على اننا نجهل طبيعة الفكر الذى يقود وخصائص الكاتب الذى يصلح ونقرر بانفسنا ونستخف بقرائنا ونخادعهم عن حقيقة ما نحمل فى انفسنا من أهواء فلا نطلب اليها ان يتلمسوا بايديهم اثر الفكر الحى فيما عند غيرنا من حياة · ولو قد فعلنا هذا او نفضنا ايدينا عن الكتابة لأعنا على بلوغ هذا البلد ما يدفع عنه لكسل والفتور والموت الفكرى الذى جنيناه عليه،ولكن أفليس من طريق لان نستخلص لنفوسنا القيادة الفكرية الصادقة التى تلهب عليه الحياة نارا عقلية يضرمها التعهد ويذكى من وقدتها الانقطاع الى العمل فى الهابها كلما خبت بتقديم الوقود وبذل الجهود ·

اعتقد ان ذلك سهل ميسور ان استطعنا ان نستخدم الوسائل المجدية فى استجماع امر هذه القيادة ولكن الصعوبة فى ان هذه الوسائل ليست باليسيرة الهينة حتى فى هذا البلد الذى يخيل الى الكثيرين ان خلو الجو فيه من الافكار القوية معين على ان يبلغ الانسان فيه الى ما يريد من قيادة وتاثير ، على ان الطور الذى تتمرس به بلادنا الان يجعل الوصول الى قيادة فكرية يناصرها الجميع ويخلص لها الكل امر اعسر مما نتصور له من عسر ، ومطلبا ان يتحقق فانما بعد عمل متواصل وجهاد وصبر شديدين ـ اذ ان المرحلة التى تقطعها بلادنا اليوم هى مرحلة الغرور الكاذب الذى يصاب به الجاهل فما يكون اشد عليه منه فى الوقوف به حيث هو يعطى نفسه من الثقة ويسوغها من الكمال وينتحل لها من الرشد ما يكون استخفافا بكل من يتقدم ليأخذ بيده مما يتردى فيه من ظلام، واى الناس ممن نلاقى ونعرف ونصادق من لا يرى انه غنى بمعارفه

راض بوفرة نصيبه من الفكر قانع بما حصل عليه من ثقافة لا مزيد عليها مطمئن الى ان فى مكنته وحده انيقود هذا البلد فى طريق الفكر حتى يزهم به مسالك الفلسفة والعلوم والاداب ـ وحتى الجهلاء من سواد الامة يأنسون فى اعماقهم الى ثقة تتهم المفكرين وتتحدى المصلحين ـ وهذه الحالة هى كل ما يجعل امر القيادة فى السودان اصعب من ان يستأثر به احد وبخاصة ابناؤه الذين كل ما يحفظ لهم من ضعف انهم يعيشون فيه ويترددون فى سبيله ويختلفون الى مجامعه كأن مجرد وجودهم فيه يجعل من المستحيل ان يعترف بهم ويطمئن اليهم فى امر من اموره الفكرية · ولكن مع هذا فلا بد لنا من قيادة فكرية محلية تدفع فينا الحياة وتبعث فينا القوة وتروضنا على حرية الفكر وتسلك بنا فى حياة ادبية رافهة الصور مملوءة بالسحر والفتنة والجمال ·

ولا شك ان هذه القيادة لن تخلق خلقا ، ولن يقلدها عضوا واحدا من هؤلاء الناس ـ وانما هى عمل وكفاح ومنافحة وسلطان تكونه شتى عوامل اليقظة الفكرية فى فرد او افراد تميزوا بهذه اليقظة واتصلوا بالوجود اتصال فهم ومعرفة وتفسير وافرغوا فى رؤوسهم نفسية الامة وعقلية الشعب كله واخلصوا له الولاء وصدقوه العمل · ويومئذ يقودون الامة مرغمة او غير مرغمة الى مثلهم وغاياتهم ويصرفونها على مختلف الاوجه مؤثرة فيهم متأثرة بهم ، بالغين بها المرفأ الامين من مرافىء الحياة التى يصنعها الفكر ويتأله فيها بسلطانه ·

واذن فلا مطمع فى هذه القيادة لمن لم يعرف اولا كيف يقرر سلطانه الفكرى ويدل على موضع الحياة والقوة والقهر منه ـ فماذا اعددنا لهذا من وسائل واسباب ؟



محمّد عبد الرحيم

المؤرخ الذى صنعته الثورة

لكانت السماء يومئذ حريصة على تاريخ الارض من الضياع والانقطاع في بلد كالسودان يغلى ملىء افاقه بالثورة ويطفح بالقلاقل· ولكانت الحياة احرص على سلسلة حوادثه وبقائها بعيدة عن الانفصام والانقسام متصلة مع كل حوادث الكون وحلقات تاريخه المنظم وان في حرصها هذا لمعنى حرصها على خلود عملها واستمراره بلا انقطاع فى مكان من التاريخ وزمان من الفكر · اذ اى معنى يبقى للعصر فى حادثة بعينها او للحادثة فى عصر بعينه ان ذهبت بها فى اطواء العدم غمرة النسيان والصمت بل اي معنى يبقى لجهود السماء في ما صنعت للكون ودبرت له من سير فيها من غير شك رجالها وعظماؤها وثوراتها وانقلاباتها وفيها عصورها بخصائصها ان كان مصير كل ذلك الى الامحاء حتى من صفحة التاريخ ·· ولم تكن السماء يومئذ لتبعث احد ملائكتها ليسجل ما تجرى به الحوادث والاضطرابات فيه على عهد الظلمة والجهل وفقدان من يعنون بتسجيل وقائع التاريخ من ابنائه ، ولكنها كانت حريصة اشد الحرص على الا تضيع من

صفحة الكون هذه الفصول الدامية وان فى انقضائها لغبنا على الانسان وضياعا لحوادث لاشك ان للسماء المقدرة غرضا فى بقائها للعبرة والذكرى ، والا لكان جديرا بها الا تجرى أقدارها بغير ما يمكن بقاؤه من الاحداث حتى تتفادى متاعب الخلق والتقدير القصير المدى على انها اذ كانت تعمل فى تنشئة الثورة وتغذيتها والتمهيد لها لم يفتها ان تضع لها فكرها اليقظ الحريص على فهمها واستيعابها والالمام بحركاتها والاصطلاء بوقدتها المتضرمة فصنعته بجانبها ونشأته على احضانها كما تصنع الظلال بجانب الشجرة ما تزال معها فى النمو حتى تفرعها طولا وتكبرها اصولا وان الشجرة ليتحدث عنها هذا الظل الى مدى لا تحلم هى ان تدنو اليه بحال ، وما يزال يبسط عنها هنا وهنا حتى يعلم كل من حولها ان شجرة تنبت هناك · وكذلك حال الثورات والاحداث فان هؤلاء المؤرخين ليبعدون بها فى التاريخ ويتبسطون بها فى مجارى الزمن حتى تعلم القرون والاجيال ان حادثا ما او ثورة ما نشبت هنالك على بعد الف خطوة من الزمن او اكثر ، والف خطوة من الزمن ما تكون إلا الف سنة فى التقدير · فبقاء الحوادث صحيحة اذن رهن وجود المؤرخ البصير قبل ان يتوقف على وجود غيره من سواد الامم وأفرادها الاخرين الذين لا يمكن ابدا ان يتكون تاريخها الا منهم جميعا على فرض انهم يتقسمونه فيما بينهم كل بقدر نصيبه من الفهم والتعليق ثم لا يجىء من بعد الا فى جانب من الصحة قليل ··· وكم تكون مهمة المؤرخ شاقة فى وطنه اذا اندثر ماضى حوادثه وانقطعت اخباره واخبار اهله أما لانها لم تسجل أبدا أو لان سيلا من النسيان المغامر طغى عليها فهى والعدم سواء ، كالسودان مثلا فلقد يكاد تاريخه الواضح الصحيح ينفقد تماما

الا ما قبل مائتى سنة او فوقهـا بقليـل وذلك ما يصـل الى ايدينـا تاريخه واضحا مفصلا يكتب على ضوء الواقع • وأما ما فوق هذا التاريخ فانما يقع لنا منه كالاطياف الرقيقة تحوم طائفـة بالرؤس ما تثبت على حال فاذا عمدنا الى تحقيقهـا اعملنا الخيـال يحدس ويهجس ويضع ويختلق ثم لا تظفر الا بحوادث استنـارت بضـوء الحاضر وتأثرت بعادة وتقاليده واخيلته فجاءت مرجـا ملتبسـا وخليطا من الوهم لا اصل له الا فينا يندر مما عساه يكون صحيحا بعض الشيء ولكن حينما يوجد المؤرخ الذى يعرف كيف يستصفى الحقائق ويستخلصها مستنيرا بمثل المقاييس التى يستنير بها امثال ابن خلدون من مقايسة الماضى بالحاضر مقايسة دقيقة موفقة تتبين بها الفروق وتتضح الحقائق وتخلص من طغيان الوضـع الكـاذب الموهم فانا لا نشك ابدا ان سيكون لنا تاريخ من بدء السودان القديم الى جديده الحاضر واما بغير ذلك فلا •

قلنـا ان السـماء اذا صنعت (ثـورة المهـدية) فيمـا صنعت للسودان من احداث ، انما كانت حريصة ان تضع بجانبها فكرهـا اليقظ ليحفظها من غمرة الجهل الذى كان يومها طاغيا على الافكار افكان ذلك هو (محمد عبد الرحيم) الرجل الذى شـب ويـده على يدها الى ان تلاشت كل عناصرها التى تنفخ فى ضرامها المشبوب وليست ثورة المهدية هى وحدها ما تهيأ من اجلها هذا الفكر ولكـن ليكون مر صافية صادقة لكل تاريخ البلاد • غير ان ثورة المهديـة لقربها وقوتها واهمية حدثها اصبحت الظاهرة الوحيده التى يمتاز بها وبالحديث عنها والاختصاص فى شئونها قبـل كل شىء اخـر تغلب طابعها على نواحيه الاخرى وان لم يكن هو اقبـل معرفـة بهذه

واختصاصا فيها من ثورة المهدية لما كتبه في غيرها مما لا يقل قيمة وتحقيقا عما كتبه فيها من فصول تكاد بحق لو لا اختصاصه فى غيرها ايضا تجعله مؤرخ الثورة الخاص ٠

فى ٦ ذى الحجة من سنة ١٢٢٥ هجرية (١) ولد مؤرخ السودان (محمد عبد الرحيم) فى (مدينة الابيض) وهى اول مسرح مثلت فيه لاول مرة ثورة المهدية بأحزم لغة يعرفها السيف واصطبغ بعدها المهديون بصبغتهم الجادة الجريئة وان لم يكونوا من قبل هازلين فى حركاتهم التى سبقت فتح الابيض من قسوة على الحكومة ومطاردة لرجالها وممثليها فى (بارة) و (داره) وكردفان وغيرها الا انهم اخذوا بعد فتحهم الابيض يبدون اكثر صرامة وجدا واشد حزما واستماتة واقتحاما للغزو والمخاطر ٠ وكانما ولد المؤرخ يوم ولدت المهدية فى آن واحد ثم تدرج معها فى النشوء حتى ظهرت وظهر هو سابقا لها بقليل اذ استطاع ان يرافق المهدى بعد فتحه للابيض فى طريقه الى الخرطوم وهو ابن سبع سنوات يشهد فى يقظة الفكر الكامن كل ما يحدث ويجد من احداث ٠ حتى اذا ما صلب عوده وقوى على المساهمة فى تغذية الحركة سافر مع القائد العظيم (عبد الرحمن النجومى) الى (دنقلة) ثم اذا كانت سنة ١٤ هـ ـ ابريل سنة ١٨٩٦ م زحف فى ٢٤ شخصا لاحتلال (فركة) قبل ان تصل اليها حملة اللورد كتشنر وعمره اذ ذاك عشرون سنة فاحتلها ومن معه فى ٣ ابريل من السنة والشهر نفسيهما ولبثوا مرابطين عليها حتى الم جيش المهدية تحت قيادة البطل الباسل (حموده ادريس)وفى مايو من السنة نفسها ايضا كان يشهد المعركة الطاحنة مع جيش المهدية فى ملحمة بينه وبين

السواري المصرية وحضر بعدها في يونيــه ١٨٩٦ م موقعة فركــة الساحقة وانما خلص منها بمعجزة السـماء · ولاقى بعد رجوعـه قافلا منها برجليه الى (الاردى) مصاعب ومشاق حتى انه لتتحفى قدماه وتنهيان فيمزق عمامته ليلفهما بها من فرط ما يصيبه من وجى وارهاق · وما يكاد يصل اليها حتى يخرج مع جيش اخر من جيوش المهدية الى واقعة (الحفير) بقيادة البطل المستميت (محمد بشارة) وواقعة الحفير هذه هى التى دارت بين اولئك وحملة اللورد كتشنر الاخرى الا ان مؤرخنا انتدب قبل نشوبها الى السفر ببعض الاسراء السياسيين ومراقبتهم فى طريقهم الى عاصمة حكومـة المهدية اذ ذاك (امدرمان) وبعد وصوله اليهـا استاثر بـه الخليفة (عبد الله التعايشى) وتممه الى حرسه الخصوصى حتى شـهد معــه واقعة كررى المشهورة ،خر فصل من رواية المهدية ١٨٩٨ م · ومما ينبغى ان يذكر انه فى الساعة التى كانت تطأ فيها رجل الحكومة الظافرة ارض مدينة امدرمان كان مؤرخنا صريعا مضرجا بدمـه فى ميدان المعركة لرصاصتين لم تصيبا منه مقتلا اذ كانتا فى فخـذه الايمن ، وعلى اثر زوال المهدية واستقرار الامن بعد بضـع سـنين انتظـم مؤرخنا فى خدمة (حكومة السودان الانجليزى المصرى) مـن ٢٦ مارس سنة ١٩٠٤ الى ان احيل الى المعاش من وظيفة محاسـب فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٤ م فانت ترى ان مثل هذه الظروف متى وجدت الفكر اليقظ صنعت منه اما شاعرا او قصصيـا او مؤرخا ولكنهـا لم تحكم خلق احد من هؤلاء كمـا احكمت فى صنــع (محمد افندى عبد الرحيم) ومن اول يوم لسقوط حكومة المهدية التفت بقـوة الى التعليم وتنمية مداركه وهكذا حتى اخذ عنى كثير مـن العلماء مـا يضنون بتدريسه اذ ذاك من كتب الدين وعلوم اللسان وانقطع بعدها

فكره يستعرض تاريخ الثورة ويقيد عنها مشاهداته وما ابتلي وما عرف وما خبر بنفسه منها ثم يبدو له ان يوسع من دائرة عمله حتى لا تكون الثورة على ما ينبغي لهـا هي وحدهـا من تاريـخ كبير الا فصلا واحدا بالنسبة لما يزمع كتابته عـن تاريخ السـودان . واذا هو قد فرغ من كل شيء واذا مؤلفات خمس يهيؤهـا للطبع . واذا هي تعنى بالسودان من كل نواحيه ويكون احدها باسم (بدائع الاثر في اخبار المهدى المنتظر) هذا السفر الضخم الهائل يحتوى الجزء الاول منه على ١٣٥٠ صفحة وهو كما يدل عليـه عنوانه يبحث اولا عن المهدية في ضوء الدين والخلاف النظـرى والعلمي والطـائفي الذى يقوم حولها وما تقول عنها طـائفة المتصوفة مـع عرض جلي مفصل دقيق لكل من ادعوا المهدية في عصور التاريخ الى ان ينتهى الى رجل السودان العظيم (محمد احمد المهدى) فيعرض له مبينـا في غير هوى ولا تشيع اسباب ثورته وعواملها ومؤثراتها والاجواء التي كانت تحيط بها اذ ذاك او تحيط بالبـلاد كلها على اثـر حـكم الاتراك متخذا اسـلوب التـراجم عن ابـرز شخصياتها العـاملة ورجالاتها الذين كانوا يدعـون لها ويناصرونها حتى وفـاة المهدى والاحتفال المهيب بدفنه في مدينة امدرمان . واكثـر ما يعتمد في هذا الكتاب على المشاهدة والاختبار الذاتي وعلى رواية من يثـق بهـم من رجـال المهديـة . واود ان الفـت القـارىء هنـا الى ان كثيـرا مـن الاخبـار المرويـة قـد يحتـاج في تحقيقهـا الى واحد ليعرض على معلوماتهم ما حصل عليه حتى اذا ثبت له صحة ما احد اثبته في تحفظ شديد شأن البحاثـة الدقيق في اسـتقصائه للمواضيع واستعراضها من كل وجـوه الاشـكال ولا يندفـع مـع الظنون ولا يتسامح في رواية خبر لا يطمئن اليه حتى لا يؤخذ عليه

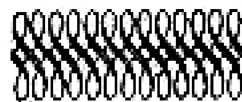
الضعف ولا يؤتى من ناحية الاهمـال فى تمحيص الحقائـق ولكـن افتعرف كـم عذابا يلاقى المؤرخ من سوء فهم الناس لحيوية عمـله الشاق او لجهلهم به يوم يتكتمون على معارفهم لا لشيء الا انهم لا يودون ان يخدموا بها تاريخ البلاد · وكم يظل هو حائـر اى الطرق يسلك لتدعيم هذا الخبر وتصحيح هذا السماع ولا يبالى ان يرحـل وان يسافر ليتسقط الحق من افواه الثقات ان كان فى الامـر حاجة الى السفر · لعل مؤرخنا لا يزال يذكر فى الم عميـق وفـرة نصيبه من بعض الشيوخ فى الانحناء على ما يعلمون مـن سـيرة المهدية وغيرها · ويذكر كم طلب لاحفاد هذا العظيم وابناء ذلك الزعيم ان يمدوه بما يعرفون عن ابيهم ومكانته التى قد تخفى على غيرهم فى الحياة السودانية فلا يجدهم الا اجهل بسيرته من غدهم المقبل وهل ابلغ مثلا فى جهاده وبلائـه وصبره على جهـل الناس ومضيه فى طريقه من موقفه مع احفاد (المك نمر) واى الرجـال هو هذا المـك نمر · انه لأمنع ذكرا على الفناء والموت وابعد اثرا ان يصل اليـه النسيان ، ولكن مشكلة كانت تدور حول فراره والى وجهة كان يتجه المك وهو ناج بنفسه من وجه الحكومة بعد ان احرق (ابن الباشا) افصحيح انه ذاهب الى الحبشـة ؟ أفوصلهـا ام قتـل دونهـا فى (النصوب) ولكنهم يجهلون عن ابيهم حتى هذا الامـر فى بسـاطته ووضوحه بقطع النظر عن الامور الدقيقة التى يلاقى المـؤرخ كـل عناء فى سبيل التثبت منها مما لم يتفق له معاصرتها او الوقـوف على خبر صحيح عنها بحال ·

ويكون اسم مؤلفه الاخر (الدر المنثور) وما هو باقل من ذاك بل لعله لما يعرض اليه فيه مـن جغرافية دارفـور وتكوينهـا الطبيعى

والبحث عن عجمتها او عروبتها والحديث عن انسابها وعن تجارتها ومعادنها واشجارها وطبيعة تاريخها والاضطرابات السياسية التى اصطلت بنارها واطوار الحكومات التى تداولت حكمها وتاريخ كل منها ، لعله لكل هذا يتخذ له قيمة خاصة به من لونه العلمي الطبيعي والتاريخي السياسي والاقتصادي التجارى مما لا يقعد به عن مصاف كتب التاريخ والقيمة · اما الكتاب الثالث فيكون اسمه (اللالي الحسان فى شمائل السودان) يتناول تراجم عامة عن ابرز شخصيات السودان الغابر وما تمتاز به من بسالة ونبل وكرم ووفاء واخلاص وشهامة وتضحية وانكار ويسمى مؤلفه الرابع (نفثات اليراع) ولا يقصره على السودان وحده بل يتناول فيه جغرافية الاندلس وتاريخه من عهد فتحه الاسلامى الاول على يدى طارق مولى موسى بن نصير ويمر عليك فى اسلوبه الشيق كل حوادث هذا العهد حتى يجيء دور (الداخل) واولاده من بعده الى اخر من انفلت الملك عن يده منهم · وتختص ناحية اخرى من الكتاب بالحديث عن دارفور ووداى ونيجيريا ويختمه بفصول قيمة فى الادب والاجتماع · ويسافر فى السنة الماضية الى مصر فيصرف كل عنايته الى ما كتب عن السودان فى الصحف المصرية من سنة ١٢٤٤ هـ الى ١٣١٨ هـ ويبذل كل جهده فى الحصول على المجلات والجرائد التى كانت تعنى بالكتابة عن تاريخه السياسي وغيره حتى استطاع ان يحصل اخيرا على تقارير رسمية للبعثات العلمية التى ارسلها اسماعيل باشا الى السودان وكانت خمسا فساند الى كل منها قسما بعينه فالاولى مثلا تبدأ مهمتها من الدبة الى دار الهواوير والكبابيش وجبال الحرازة وباره والابيض · وتبدأ مهمة الثانية من امدرمان الى الترعة الخضراء فبلدة حرس حتى

الابيض • والثالثة تقوم من الخرطوم مطوفه بدارفور والرابعة من الخرطوم الى بحيرة البرت نيانزا • والخامسة من مصر تحت رئاسة محمد روءف باشا الى زيلع وهرر • على ان رحلة سادسة في ذلك العهد كان يقوم بها الدكتور محمد نيازى وقد كان حكيما لاحدي الالايات المصرية في سنة ١٢٨٢ هـ وهذه الرحلة هى ما كان يستند اليها المؤرخ بوجه خاص في مؤلفه الخامس الذى يسميه (رحلة الرحلات المصرية فيما كتب قديما عن الاقاليم السودانية) هذا عدا ما فى الكتاب من تقارير رسمية عن السودان وحروبه ونظام جباية الاموال فيه ومن حوادث اخرى تسكب عليه كثيرا من الاهمية التاريخية ذات الصبغة الحسنة المجودة •

وبعد ذلك كله عرض لا نقد فيه لمجهود فردى يقوم به مؤرخ سوداني ينبعث من نفسه الى العلم والتاريخ ويواصل الكتابة والتأليف فيما يحفظ على بلاده سلسلة تاريخها متماسكة تامة فى غير دعاية عن نفسه او ادلال بما عمل فان قدمنا الى قراء (الفجر) هذه الصورة اليسيرة عنه وهذا العرض الضئيل لجهاده فى سبيل التاريخ فانما فقط لنضيف به شخصية جديدة وغريبة ايضا الى قائمة رجال التاريخ •



بين مصر والسودان في سبيل التعارف الأدبي

هذا عنوان استقلت به السياسة واستأثرت به الدوائر فلا يطلق الا حيث يراد به معالجته هذا الحدث الهام بين القطرين ، والا حيث يصرف على وجوه الحكم والسلطان والرغبة الاستعمارية ولقد ظل زمنا طويلا وقفا على هذه السياسة العابثة باسمى حرمات العلم والادب ، فما تحس له وجودا فى غير دار المندوب ·

ولو قد اردنا ان نلخص به من مظان السياسة ومضيق السلطة الى حيث يتنفس هواء حرية (العناوين) لكان هناك متسع من العلائق الادبية السامية تفسح له منها مكانا لا يتطرق الى كرامته فيها شيء من هذا العبث البغيض · وانا لنرجو ان يكون قد انقضى ذلك الزمن الذى لم يكن ينظر الى السودان فيه الا من وراء هذه المطامع الفانية وحدها ، ولعل مصر نفسها لا تعود تنظر اليه تلك النظرة المحدودة الضيقة · ولئن كان السودان من قبل بلدا ليس له مكان الا فى صحيفة المستعمرات او سلة المهملات ، فليس هو الان ذلك البلد الاخرس الذى تدور حوله صفقة الاستعمار وهو يبتسم ليس لانه استكمل فى نفسه عناصر الثورة او استجمع فى قوته مدافع الحروب ودوارىء الاطماع ، ولكنه الشعور بالوجود وكفى، ولكنه الانقلاب التاريخى العظيم الذى تمهد له الثقافة وتشق له الاداب فى حياة هذا الشعب ليأخذ بحقيقة الحياة · أفليس هذا

وحده يكاف ان يحمل السياسة لتغيير من نظرتها اليـه تلك النظرة القاصرة العمياء ؟

وما نريـد ان نطمـس على الاسـتعمار في كلمـة او نأتي على السلطان في مقال • ولو قد استطعنا ان نفعل لما أبطأ قلم في تحقيق ذلك ، غير انا لا نكاد نفهم تفسيرا لان تستغل السـياسة اسم هـذا البلد استقلالا جامدا مقصورا على ما تدعو اليه الاطماع وحسب•
صحيح لقد كان في وداعة السودان وجهله من قبل مدعـاة لهذا التحيف ومجلبة الى اعتباره شيئا لا مكان له من الاعراب السياسي المحترم ، فهو مبني على غير حركة الانقـلاب جامـد لا يتصرف في منطق الحكم • اما هو اليوم فلقد عرف منزلته من الانسانية الحرة المهذبة عرف طريقه الى كل ما ينبغي ان تعرفه الشعوب فـلا معنى لاغفال ناحيته العلمية والادبية حتى في هذه الايام التي يعمل جاهدا فيها ليخلق من نوابغ شبابه قادة للفكر • افلم تكن اذاهذه الناحية خليقة بالعناية من كـل ما تدفـع بـه السياسة مـن منطـق القـوة الغاشمة •• ؟ وان جهلت مصر ما بينها وبين السودان من علائـق أخـرى جديـرة باهتمامهـا غيـر مـا لهـا من علائـق سياسـية بـ « سودانها العزيز » فنحن ما نزال مقدرين لهذه العلائق مكبرين مصر وما يربطنا بها من منازع الثقافة واثر التفكير المصري الذي سيظل خالدا في تاريخ ادبنا السوداني الحديث •

فخير لنا ولمصر الادبية ان نعنى بهذه الروابط وان توثـق بين هذين البلدين وشائج المعرفة الادبية الصحيحة • خيـر لنا ولمصر ان نهيأ للتاريخ مادته من هذه النواحي الخالدة وان نعتد له اسمى العناصر الروحية ليتهيأ بهـا الى كتابة ما شاء مـن فصول • أمـا

مصر السياسية فليس لدينا ما نقوله لها اليوم او غدا او بعد غد ٠ ولكن بحسبها ان تعلم ان هذا العلم الذى يخفق فى قلب العاصمة ، والذى ما يزال يرف ويدف فى هذه المراكز المتواضعة جاهدا مكدودا فى اطراقته الحزينة ليس هو الان كما تحسه مصر ٠ لقد نسيه الناس ٠ اجل لقد نسيه الناس فخير لنا ولها ان نغص بجانبه ان لم نقل فى مكانه علما اخر من الوية العلم الخالد ٠ وخير لنا ولها الا يضيق هذا « العنوان » عن محض الروابط العلمية الخالصة من غواشى الحكومة وشوائب الدولة ، وما ينبغى الا ان يضيق عن كل ما عدا ذلك فلا يتسع لاكثر من هذه الصلات ، على ان مصر وقد نهضت وقتا ما بحكم هذه البلاد فليست هى باوضح اثرا ولا اثبت علما الا فى هذه الاجواء الادبية ٠ اذ ان اثر الثقافة المصرية فى السودان هو حده ما سيحفظ لمصر اثرها التاريخى فيه يوم لا يبقى الا هو قويا واضحا فى مذكرة الايام ٠

ذلك هو حديث الادب الى مصر لا حديث السياسة فتلك لغة اى والله نحن اشد الناس جهلا بها من كل مخلوق آخر ٠ فاذا استطعنا ان نخلص بهذا « العنوان » الى ما نريد ان نخلص به اليه وان نفهمه صريحا سهلا لا تعقد فيه ولا التواء ، وان نحرضه بماء « النيل » من كل ما علق به من الاوضار « الرسمية » فقد استطعنا أن نوجد بين القطرين روح التفاهم الادبى الصحيح الذى لم نكم فى ساعة ما اشد حاجة الى غيره منه ، فلياخذ ادباء الشباب المصرى فى سبيل التعارف الادبى مع اخوانهم ادباء الشباب السودانى ٠ وليتركوا للسياسة طريقها تسلك فيه ما شاءت فى موكب من الحرس وكوكبة من حفظة النظام ٠

ان الشباب وحده هو خالق التاريخ ٠ وفى حركة الشـباب الان حياة المستقبل من بعد ، وهو الكفيل ، بتمزيق هـذه الفواصل حتى تتوحد الجهود وتتكاتف الجهود وتتكاتف الاقـلام ويفهم كل اخـاه فلا نعود نرى او نسمع ان مصريا مثقفا يجهـل كم عدد الصحـف والمجلات التي تصدر في السودان في حين يجـرح في وجـودنا ان يسيفسر مجلة مصرية نحن اكثر الناس تشجيعا لها وهي مـع ذلك لا تعرف من صحفنا الا « الحضارة » افيصح ان يصـل الامـر الى مثل ذلك يا مصر ٠٠٠ ؟

منذ زمن بعيد ونحن نسعى لنحقق من الحياة الادبية اسمى مـا يطمح اليه العصر ، ونجـد لنبتعث من شبابنا اقـوى الشخصيات واخصب العقول ، وما كان ليعوزنا ان نخلق هذه الشخصيات ولا ان نساير حركة العالم الفكرية في مثل ما يتطلب من نشاط ويستلزم من مرونة ويفترض من يقظة ٠ اجل ما كان لينقصنا شيء مما يكون هذه النفوس الا إن يعنى بنا العالم الشرقي وحـده فيقرأ ما تكتـب وينقد ما ننتج والا ان تعنى بنا مصر وصحف مصر خاصة فتاخـذ بضعة هذه الاقلام التي تحسب ان صريرها يصـم اذان العـالم او تحلم انه قريب من ذلك وما يمنعها ان تحسب وان تحلم ، ثمما يمنع ان يكون حقيقة ما تحسب وما تحلم ، اذا قدر لها ان تنال نصيبهـا من عناية الشعوب ، واذا بها لا تكاد تعرف كانما تعمل في كهف ٠

قلنا ما ينقصنا قوة في الادب ولا سمو في التفكير ولا شيء من مؤثرات العظمة الادبية الا ان تبرز هذه الاقـلام المجهـولة حتى في مصر ولعلها ان اتيح لها ان تتنفس قليلا ان تكون ابلغ أثرا مما كنا نعده حلما ابعد شيء عن الواقـع ٠ وما يمنـع شـيئا مـن هذا ان

يحصل ايضا ، بل من الواجب المفروض الا تبطيء عن لحاق اقلام ربما تكون ذهبا لا قصبا او ربما تكون شيئا اكرم على الحياة مما يكون النضارة ان كان فى مثل هذا عبرة فى الانتاج ، وما بها حاجة الى التزكية والاطراء ، ولكن ما يؤلمنا حقا هو ان نظل مجهولين هكذا.من ناحيتنا الادبية حتى فى الاقطار الشقيقة ٠ واذا تغاضينا عن كل هذه الاقطار فما يكون عنر مصر فى جهلها بنا جهلا تاما لا منتلك الناحية وحدها بل فى كثير من النواحى غيرها الامر الذى يقدح فى شانها قدحا بليغا لا يزكو معه ان تنطق باسم هذه الاصقاع مرة اخرى فى لهجة الذى ما يفتا يخفق علمه هنا فى صميم البلاد ٠٠ ذلك العلم الذى نسيه الناس من لدن كثرت فى هذه البلاد اعلام شيوخ الطرق ٠٠

كلنا فى الشرق ــ ايها المصريون ــ معقد رجاء الشرق ٠ فمثل واجبنا نحوه واجبكم له ومثل حظنا فيه حظكم منه فنحن سواسية فيه ، سواسية فى اسمى ما يفتخر به الشرق وفى تحمل تبعة كل ما يضيق به الشرق ٠ فلتكن هذه اول مرة للتعارف الصحيح بين القطرين ، وهو ان قام على ما نرجو ان يقوم عليه فسيؤتى اكله الادبى طيبا باذن الله ٠ واذا استلفتتنا اليوم نظر ادباء الشباب المصرى فانما ندعوهم قبل كل شيء لتوثيق الروابط الادبية بين (مصر والسودان) وان يقوم التعارف الادبى المتين بين شباب القطرين اللذين نرجو ان يوجد بينهما ذلك التجاوب الادبى ، وهو وحده ما ندعو اليه ٠

«وعفا الله عن ما سلف٠ فليعلم من فى الكنانة الخضراء ان فى هذا البلد السحيق المترامى الاطراف الاشعث الاغبر قلوبا كبيرة

طموحة ونفوسا متعطشة للعلم والعرفان » .

وليعلم من فى الكنانة ان فى السودان شبابا وفيه ادبا ، وفى ادبه لذة وفيه متعة ، وانهم لم تعد تتكسر عنهم الجبال فيخرج منها وانما تدفع بهم السماء فيهبطون منها للارض لينهضوا برسالة الادب الى الادب وليفضوا الى التاريخ بمّا يجب ان يعرفه عنهم التاريخ ..



ضرورة الوحدة الأدبية بين مصر والسودان

لن يكون مثل الادب يصوغ الامم على اسلوب واحد ، ويصنع منها عقلية واحدة ، ويقيم اساس وحدتها على الروح ، وبناء مجتمعها على العاطفة ، ودعامة الفتها على الجمال ، وقاعدة اخائها على الصدق ، وصرح كيانها على يقظة الشعور ، فلا يتزلزل ولا يضطرب .

ولن يكون مثل الادب يوحد بين مشاعر الامم ، ويعين على توحيد المنافع ، ويحقق من حلم الوحدة بما فيه من صور الفكر وجمال الفنون . ولا يمكن من ذلك الا ان تعنى به فتوحد من لااساليب وتوافق بين الانتاج وتقارب بين الافكار ووجهة النظر الى الكون والحياة . فمركز الادب فى وحدة الامم مركز الفكرة فى خلق الادب ، تؤسسه على القوة ، وتبعثه على الجمال ، وتنهضه على العاطفة ، فيكسب من دقائقها فى الصياغة والتعبير ما يأخذ على قاعدته الامم فيهبها من دقائقه هو ما نأخذ به افرادها على وحدة الشعور وجماعاتها على توحيد المصلحة . ولا انفع لمصر ولا اجدى للسودان فى سبيل وحدتهما الكبرى من ان يعنى كلاهما بتقريب الفكر من بعضه ، وتوجيهه بعد ذلك الى منحى واحد ، فتتحقق الوحدة فى كل شىء ، ويستقيم لها التواشج ويتم الامتزاج .

فالادب كان وما يزال اصدق ما يحمل الى الفرد خصائص الفرد ، واقـوى ما يعكس على الامة مميـزات الامـة ، فيجمـع بينهما فى المشابه ، ويوفق بينهما فى الميول · وهو بما يدفع من جمال ويصور من لذة وينقل من مثـل للاجتماع ، وفروض للانسـانية ، وقـوالب للحياة ، انما يقتضى بما فيـه من قوة الايحـاء ان يوحـد من نظام الحياة فى الشكل كما وحد بينه فى الدخائل · وما فرضت امة ادبها
الحياة فى الشكل كما وحد بينه فى الدخائل · وما فرضت امة ادبها
على اخرى الا كان معنى ذلك انها تفرض عليها النظام الذى تسير عليه ، وتعين لها الحيـاة التى تؤمـن بها . والغـرض الذى ترمى اليه · فاذا جاءت مقاييس الادب عندهما بمقدار واحد جاءت على وفق ذلك معايير السياسة واقيسة الحـكم · وان اوربا الان لتبلغ بادبها فى الشرق ما جعل كثيرا من خصائص الحياة الغربية موزعة عليه باوفى قسط واوفره · وما كانت لتبلغ هذا المبـلغ الا بما يقوم به ادبها من بـث صـور الحيـاة العقلية فى العـالم · وعلى قـدر ما فرضت ادبها على الشـرق فرضت سـيادتها عليه ، وعلى قـدر ما سنت له من اقيسة ادبها ومعايير الجمـال فيـه ، كانت سـياسة الحكم تنصب على مقاييس بقدرها كثرة وتعدادا ·

وان مصر لتتمتـع منـذ قرون بعيـدة بادب فيـه من خصـائص « المصرى » وملازمات حياته ما يكفل لها ان تنتظم الشرق فى وحدة ادبية تامة ، متى كان لها ان تعنى بذلك عناية خاصـة وان تعمل فى سبيله . فتقيم له المؤتمرات وتدعو اليها ، وتنظم له المجامع وتبعـث له البعثات ، وتكون له فى كل بلد « رابطة » وتنشىء من اجله فى كل قطر سوقا ، لتضمن لها فى كل شعب حقوقا ، ولكن مصر لم ته

لذلك حتى فى الزم شعب لها والصقها به · وذلك هو السودان ···

كلما فكرت فى تعليل ذلك لم اجد ما يشفع لمصر فى افلات ما كان وما لا يزال يتهيأ لها ان تحقق فيه ان السودان قطعة من مصر يصح فيها ما يصح فى مصر ، ويجرى على هذه ما يجرى على تلك · ولا ينبغى ان نخادع انفسنا فى تقرير الحقائق ، فان كل ما حصل لم يكن الا نتيجة طبيعية لجهل مصر بالسودان واغفالها بداءة بدء توثيق العلائق الادبية والروحية بينهما ، حتى لقد استغل سادتنا الانجليز جهل مصر الفاضح بنا فوطدوا مصالحهم فى السودان وانتزعوا منه كل ما يدل على مصر ، الا علما ما تكاد تحس له بوجود · ولو قد كان لمصر ان تصرف عنايتها بعد عام ١٩٢٤ الى العلائق الادبية وتنميتها لما اتسعت الهوة الفاصلة بين القطرين الى هذا المدى ، ولما قامت الموانع حتى دون ابسط شيء لا يغير من مجرى الحوادث بقليل · ولكن مصر لم يكن يهمها بعد ذلك ان تعود للتفكير فيما يجعل الوشيجة بينهما قوية على الحوادث ، جديدة مع الايام حتى ضرب الانجليز ضربتهم القاضية ، ووقفوا دون المصرى والسودانى حتى عن معرفة ما ليس بد ان يعرفه كل عن اخيه ، لانهم ـ وقد استغلوا هذا الجهل ـ كانوا يعلمون ان ما ضربوا عليه من العلائق كان شيئا لابد منه ، فلا ينفيه الانكار ولا يطمس عليه النسيان او التغافل · ولهذا فهم اشد خشية ان يطلع احد ، وخاصة ان كان سودانيا على الحقيقة التى عبثوا بها على وجود الصلات التى دفنت حية بعد ان جهدوا فى خنقها ، ولكنها كانت اطول نفسا واكثر حيوية ان تموت ، على روابط صنعها الله واحكم فى توثيقها ولا حل لما عقد ، وكانوا موفقين فيما ارادوا من تفرقة حتى لقد

حاولوا بما يبثون ويذيعون من ضروب الارهاب والوان النكال ان يجعلوا اسم مصر بعد عام ٢٤ شيئا لا تسوغ القوانين النطق بـه ، وكلما شددوا في النكير وامعنوا في المنع ، كان ساسمها اشد اغراء واكثر جاذبية واقوى على لفت النظر ، وحمل عامة الناس ان يبحثوا عن السر الغامض الذى يأبى عليهم الانجليز الاتصال به · ومصر الا سامح الله مصر ـ مع هذا كلـه لم يكن يهمهـا ان تعـرف عـن السودان شيئا وهى تطالب بكل ما فيه · · ·

والان لقد بلغ الانجليز ما ارادوا · وضربت يد الغـدر والمطامع على كل شيء ، حتى لتوشك ان تضرب على النيل فيتزلزل وينفلق فلا يعود يعرف اين تكون مصر · ولقد طالما عبثت الاطماع بما بين مصر والسودان من الفة وتعاطف ، وافسـد الاستعمار هنـا ـ فى السودان ـ والحمـاية هنـاك ما بين هذين القطـرين من روابـط وصلات كلها بـر وكلها رحمة · · · · · الان لقـد تم لهـم ما ارادوا ففرقوا وباعدوا ، واغربـوا في التفرقـة ، وافلحـوا في مغالطـة الحقائـق الطبيعيـة ، وتنكـروا لخرائـط الجغرافيين ، وكابـروا وخادعوا ان يكون شيء من هذا جديرا ان يحملهـم على الاعتراف بخطئهم فيما حاولوا ان يطمسوا عليـه من صلات كانت مصر هى في الحق اول من اغفل العمل فى توثيقها والعناية بها ، فماذا تفعل الان · · ؟

نحن نطل اليوم على عهد جديد تاخـذ العلائق فيه صورا جديدة فيها من صحة المعرفـة وحسن التفـاهم ما يملؤنا ثقـة بالمسـتقبل وايمانا به ، وشعورا بالوحدة والعمل لها فى جميع ما تقضى بـه مصالح القطرين . وفى كل ما لا ينبغى الا ان يكونـا متحديـن فيـه

بطبيعة (الجوار) اذا لم يكن الا هذا ما يملى بوجوب هذه الوحـدة فى اتجاه الحس والشعور ، وفى تبادل المنافع والمصالح · واما وقد كان هناك من مستلزمات الوحدة ما يجعل الجوار فى اخر قائمة العلائق من لغة ودين وادب وعروبة ونيل زاخر هادر متدفق يصور الرباط المقدس بين بلدين اشد ما يكونان تلازما وارتباطا · اما وقد كان كل ذلك فقد توفرت بواعث توحيد الامتين كما يتوحد النيل قطرة الى قطرة وموجة الى اخرى وفيضا الى فيض ·ولكن على اى اساس يقوم ؟ ان شيئا من سيرة مصر الاولى فى السودان لن يعود اليها والحالة كما هى من تفكك فى علائق الادب وتباين فى وجهة التفكير ـ هذا كلام صريح لا مكان فيه للتأويل ـ وانا لنرى قبل كل شىء ان تقوم الصلات على الادب فى بعض ما تقوم عليه ، ولن يمر على ذلك عهد الا ويجىء من بعده ما يكفل للقطرين الشقيقين ان يدفقا على مجرى واحد كما يفعل النيل · لا ان نظل نقرأ ونسمع بالحاح مصر فى سبيل السودان فنعجب لها وهى لا تعرف عنا شيئا صحيحا ، فان من الخير لنا ولها ان نلتقى الان على الفكر ونتصل على الادب ان نظل هكذا لا صلتنا بصلة ولا تعارفنا بتعارف ، ولا انفصالنا بانفصال · ففى مصر (روابط) للادب وفيها مجامع للعلم ، وعندها شباب مثقف ، وفيها صحف كثيرة ، فكم هو انفع لها واجدى للسودان ان تعنى صحفها بشئونه فتاخذها بالمعالجة ، وتكب عليها بالدرس ، وتتناول ادبه بالنقد والتحليل فتتقارب بين الادبين وتلائم بين الذوقين · وكم هو خير لنا ولها واكفل للوحدة ، وابقى على المعرفة ان تبعث البعوث العلمية والادبية ـ والاقتصادية كما فعلت الان ـ فتحقق من حلم الوحدة بالعمل ، وتخرج باقوالها الى التنفيذ ·

المعهد العلمى في ربع قرن

في ... ربع قرن

ويا لعظمة القرن . لقد هال حتى وزع اربـاعا فما عــدا ان اصبح اربعة اهوال فى واحد منها ما يملأ الفــم ويزحم الاذن وتنقطع لــه الانفاس ، ولقد هال حتى عاد فى روعته كالاسد كل شلو منه حقيقة تامة من حقائق هذا المخلوق فى قوته وبأســه . وذلك هو هذا بعينه يوم تقول (ربع قرن) فما تعتم ان تدفع فى النفس بعظمة هذا الجزء من الزمن الذى ان عينته بخمسة وعشرين عاما قطعت ما بينه وبين عظمة القرون .

وان بعض الناس من هؤلاء الذين يهولهم اسم (الجنيه) ليكاد لا يصدق ان مدلول خمسة وعشرين قرشا هــو بعينــه مدلول ربــع الجنيه الذى يكسبه الهول فى نظرهم انه اقترن باسمه فانقلب هــو نصا الى حقيقة الجنيه الكبير ..

وانا والله ايضا يوم التفت بفكرى الى انى طويت من عمرى ربع قرن أشتد فى حساب نفسى كم احرزت وكم اصابت اكثر مما لو مر مـطرى انى اسجل بين الاحياء الان خمسة وعشرين عاما فقط ..

تلك كلها توهمات الفكــر التى يختلــف بها بين كليــات الاشياء

وجزئياتها حينا فيمد هذه من تلك حتى يلبس بينهما بعمل لفظة واحدة وكم لهذا من قيمة فى خلق الثقة والاعتزاز ٠٠ ذلك الاعتزاز الذى كان جميلا يوم القى الى صديقنا الاستاذ العالم الشيخ ابراهيم يعقوب ان يدعو الى الكتابة عن (المعهد العلمى فى ربع قرن) ٠

والاستاذ من الابكار الذين خرجهم المعهد العلمي فشغل بعضهم مناصب التدريس فيه ، وانصرف بعض الى المحاكم ، وانفرد هو مع اخ له اخر بالتدريس فى معهد الخرطوم ، فليس بدعا ان يحرص

على أن يؤرخ للمعهد الذى نشاه وسوى منه عالما ينضح من غلة هذا البلد الظامىء ٠ وينشر بين ابنائه نور العلم والمعرفة والايمان ٠

لقد كان ذلك اقل ما نرقبه من اخواننا طلبة المعهد وخريجيه فى وقت احوج ما يكون المعهد فيه الى حركة كهذه تحفظ عليه اثاره وتدعو له بين هذه الامة التى يتداركها الله فى وقت يجهل فيه بعض الناس ان فى السودان معهدا علميا خرج حتى الساعة من علية العلماء المحققين عشرات وعشرات وما تزال بين يديه الان مئات العلماء من الشباب الذين ليس بينهم وبين هذا الشرف العلمى الا ان تهبهم المشيخة (اوراق الشهادات) ٠

وحقا لقد كان لكلمة الاستاذ ابراهيم التى نشرناها له فى عددنا الماضى صدى جميل فى نفوس من يحرصون على ان يكون للاعمال الكبيرة فى هذا البلد سجلات تؤرخ لها ما اسدته للبلاد من خير ونور سواء فى ذلك دور العلم وغيرها من كل ما يدخل فى دائرة

الاعمال الكبيرة · ولا شك ان القيام بهذا يعد عملا كبيرا ايضا لما يترتب عليه من امر النهضة التى تسير على بينة وتقوم على اساس وما ستعقبه من فضيلة التنبه العام لانماء هذه الاعمال ورعايتها حتى تبلغ مبلغها من المنعة والقوة ·

وفكرة الاستاذ ابراهيم ليست حديثة العهد ولا جديدة على الاسماع فلقد كان يتحدث بها الى منذ سنتين طالبا الى فى ثقة الصديق الذي له بالمعهد نازع عرق ان انهض بهذا العمل وحدى بعد ان اكون قدجمعت له من الوثائق والمعلومات ما يكفل لى القيام به على اتم اوجهه · وكنت ارى يومئذ ان يوكل هذا العمل الى لجنة تبحثه وتتقرى جوانبه حتى تستوثق من صحة ما تكتب · معتمدة على الوثائق الرسمية المحفوظة بادارة المعهد فيما يختص بالناحية الحكومية والاهلية منه وفيما يتعلق بانشائه وكيف سار وكم يدا اسبغ على هذا البلد وما الى هذا مما يحفل به تاريخه المجيد، وسيجر الحديث عنه بالطبع الحديث عن رجالاته الذين نهضوا به نهضته الحاضرة واتصلت حيواتهم به حتى لتكاد تكون قطعة من تاريخه لن يكون فصلها عنه الا اقتضابا وبترا فى سلسلة حاضره وماضيه · وسيتناول كثيرا من الجوانب التى يبعثها الكتاب يوم يتاح لهم ان يجيبوا داعى الله والوطن فى تنفيذ هذا الامر الجليل ·

ولعلهم موجهون غدا العزائم الى تحقيقه خدمة للعلم فى بلد ما ينقصه مثل الدعاية للعلم ·

قلت ان الاستاذ اسر الى بهذا الحديث منذ سنتين ، وقد طوينا الحديث على امل العودة اليه · ثم التقينا اخيرا وقد شغلت الفكرة

مكان العقيدة من نفسه ، واذا كلمة بين يديه يكاد يسيل من اطرافها عنوانها العريض ولفرط ما يعجل الاستاذ فى غايته منها بداها من نهايتها صاعدا فى غير المألوف من مماشاة القارىء حتى يستأنس بما يلقى اليه ، وانما يفسر ذلك كله حدة الفكرة وقربها من نفسه هذا القرب الذى يقطع الكاتب طريق اللف والنشر والتطويل . ولقد بلغ ما اراد تبليغه من دعوة الكتاب والمتصلين بالمعهد الى القيام بواجبهم نحو هذه الدار . فما موقف الكتاب والمتصلين بالمعهد من هذا النداء .

لقد اصبح لزاما على كل من توجد لديه معلومات قيمة طريفة عن المعهد ان يدلى بها حتى يعين على وضع هذا السفر عنه فى مدى ربع قرن ليس بالشىء السهل هنا . ولو قد هيأ للازهر مثلا ان يجد مثل هذه الدعوة له فى فاصلة كل خمسة وعشرين عاما لاستقلم لنا من تاريخه اليوم اربعون مجلدا كل واحد منها موسوعة شاملة للعهد الذى كتبت فيه من كل ما يتصل بالازهر من سير وتراجم وشؤون فينبغى وقد تنبهنا نحن الى هذا الا نبطىء فى ادراك ما افلته الازهر وعاد يستعيضه بعد عشرة قرون لن تستطيع مصر كلها مهما بذلت من جهد ان تسترد ما فقدته فيها مما لو كتب فى وقته لكان اليوم تاريخا لمصر كلها لا للازهر وحده . لما كان له قبل هذا من قوة الاتصال بالحياة المصرية والفكر المصرى .

وعلى اية حال فانا لم نشك يوما فى فائدة ما ندعو اليه حتى نقصر الجهد على تبين جدواه اما من حيث ما يعنينا خاصة ويتصل بنا من هذا النداء وهو ان تصدر عددا خاصا بالمعهد فنحن ما نرى باسا

من العمل في تحقيق ذلك ولكن وراء اقتراح أيضا ان تم فقد تم كل شيء فالمجلة كما يعلم القراء لم تستوضح طريقها بعد ، وهي على حداثة عهدها تسير على شح في المادة يحول بيننا وبين عمل كهذا ولكن لكي نوفق الى اصدار هذا العدد الممتاز الذي ربما وقع في مائتي صفحة مثلا او اقل او بقدر ما يصل الينا من كتابات – نرى ان يكون ملحقا للمجلة شبه مستقل عنها يباع بثمنه الذي نقدره له فيما بعد او قل بخمسة قروش على الاقل تدفع مقدما ضمانا للشروع في هذا العمل وحينما يصل الينا المبلغ الذي يكمن من اخراج العدد او الكتاب على الاصح نشرع في اصداره باذلين كل ما نستطيع في سبيله من جهد • فما رأى القراء في هذا ؟

ستنشر كل ما يصل الينا حول هذا الموضوع مما يرى القراء ثم نعلن عن قبول الكتابات وفتح باب الاشتراك استعدادا للشروع فيه •



مقالات وتعليقات صحفية

الصحافة

الصحافة يا بنت السماء ونزيلة الارض · يا سر التقدم الانسانى ويا معجزة الاجيال · ويا خطيبة العالم ويا موقظة الامم من سبات الغفلة والجمود ·

انت ··· يا قائدة عقول القاده يا فكرة الخلود · يا نواة الاستقلال ويا عظمة اوربا ··· احييك انك لشمس الحضارة المنعكسة على قلوب اظلمتها غابرات السنين والاجيال ورانت عليها حجب التقاعس وصدتها عاديات التقاليد من وجه البحث والتفكير·

وكادت لو لاك تضرب عليها ضربة قاضية تفقدها النبض والخفقان ·

وانك للشيء الوحيد الذى يبرهن بوضوح على مقدرة الانسان فى اشتقاقه اسهل سبل الحياة النافعة · وسعية فى سبيل النبوغ والابتكار ·

فى سبيل الحياة الخالدة والعقل الجبار ·

ولانت بجانب ذلك اكبر عامل فى تكوين رجال يعيشون بعقولهم فى سماء الخيال والالهام ويمرحون فى ظلال الابدية ·· انت وما انت غير حياة الامم · ومقياس حضارتها وتخلصها من قيود الجهالة

العمياء . فكم من امة اخذت بناصرها في حين انه لم يكن بـد من سقوطها في وهدة الشقاء والانحطاط في حماة الرزيلة .

الصحافة : وما هي غير النور المنبث على سماء الفضيلة والملقى بدلائلها على ارض بسطتها ايدى العقول . وفضــاء دبجتـه يـد العبقرية على طريق وعر شائك لا تعبده المعاول ولا تصلحه الفؤوس .. على ان ضربة واحدة .. واحدة فقـط مـن شفتي يـراع على صحيفة بيضاء لهي اكفـل لصلاحها من المعاول واشـد وقعا على راس الجملة من سقوط القنبلة الحمراء .

فللصحافة اليـد الطـولى في تغيير مجرى الحيـاة ومجريـات الحوادث والافعال ولها اكبر الاثـر في حياتنا الحاضرة واذا كان الانسان باديء ذي بدء وقبل ان يتوصل الى معرفة الصحافة يتلقى ثقافته عن طريق الدرس والاصغاء في مكان محدود امـام شخص معين ولم يكن ليعـرف الا هذه الوسـيلة ليتذرع بها الى التحصيل على ثقافته الادبية فانه يمكننا ان نتصور مبلـغ الفرق بينهما اليوم ويمكننا ان نفرق بينهما حتى في الانسانية فنقول : انسان ما قبـل الصحافة وانســان ما بعـدها كما نقـول انسان العصر الحجرى الساذج وانسان العصر الحجرى المنحوت .

ونكون جد عادلين في هذه التفرقة ايما عدالة وانصاف وليست الصحافة في نظر التاريخ الا شيئا محدثا ككل الاشـياء التى لهـا قيمتها ومقدارها الحيوى في مجتمعنا الانسانى والتى لم تكن لتوجد الا في هذا العصر . والذى قبله .

وهى وان كانت قريبة العهد بالوجود فانها بفضل تقدمها المطرد ونجاحها العظيم اصبحت كما لـو كانـت تعيش قبـل الـف سـنة ـ نسبيا ـ ولا ريب فى ان كل انسـان يقول معى : انها بحق معجزة الاجيال المتخلصة من قيود التطـور البطىء والمتممة لانسانيتنا من نقصها المعيب ··· فهى ثقافتنا الغالية · ومهذبتنا القديره · ذات المبادىء القويـة القائمة على العقـل البشـرى الناضـج والاراء المترجمة عن اسمى المشاعر والاحساس ·

وهى بجانب ذلك كله مقياس الحق والصـواب وقانـون البشـرية العادل الرحيم ·· كم يعمل العقل فى رفعها الى مستوى الشرائع · وكم تخدمها المادة وراحة الانفس وكم تعمل هى الاخـرى فى صقل العقل وتهذيبه مثلا بمثل ـ وان لم تستطع ان تخدم المـادة كخدمتها لها الا فى النور القليل · فكلما يسدى لها العقل يدا بيضاء ويمـد اليها كفا لا تدع للعثرة اليها من سبيل كذلك ترتفـع بـه الى اقصى حد · وتصبغه بلون المثل الاعلى للحيـاة العقليـة التى هتـف بها النوابغ وغنى بها الشعراء ·

وقد بدأت الصحافة تعمل فى تاريـخ الشـعوب بتضـامن مـن الجانبين حتى كان ما كان من تقدم ونجاح ·

فالامم التى نراها اليوم متقدمة او على شىء من التقدم· ونحس منها بروح الوثبة والنهوض ونطالع من نفوس افرادها نزوعا الى العلم وميلا الى تمحيص الحقائق هى تلك التى قامت مـع الصحافة على قدم الجد وساق الاجتهاد ·

اما التي نأنس منها تاخرا وانحطاطا في المدارك والافهام · في الانواق والمشاعر · فهي تلك التي اهابت بها الصحافة فلم تجب · وجعلت في اذنها وقرا دون داعي العلم والعرفان · ويكفي نقصا ودليلا على الجمود ان الصحافة في السودان لم تزل على عهدها الاول غير واحدة تشجيعا من نفوس الامة ولا متقبلا من شبابها ـ بل المعونة و التضحية في سبيلها بكل راحة ومنفعة ذاتية ·

ويكفينا نحن تقاعسا ان نكون بجانب الامم الراقية التي تقدر الصحافة قدرها وتعرف ما لها من اهمية وعمل في تهذيب الانسان ـ ان نكون بجانبها غير مقيمين للصحافة وزنا ما ولا معلقين عليها اهمية في يوم من الايام ولكننا نعرف ـ بحمد الله ـ كيف نصون (القرش) حتى لا يفلت منا في طريق الصحف وكيف نعض عليه بالنواجز ·· ولو عقلنا وترسمنا خطى الامم العاقلة لرأينا ان ما نضعه في الصحف ناخذ به معلومات تساوي كل مصكوك على وجه الكرة الارضية · وماذا نريد من القرش اذا كان يجلب لنا التمتع بلذة العلم والاطلاع ·

وقل لي ماذا تؤمل منه اكثر من ذلك : اكثر ما نبتاع به حياة عقلية · ونشتري به غذاء الروح والوجدان · اكثر من ان نقدمه اصرة امرة ونتخذه وسيلة لنطل من خلال ثقبه الضيق على متسع العقول والافكار ·

فالصحافة عندنا في حاجة ماسة ورغبة ملحة الى التشجيع والدفع بها الى الامام · حتى تاخذ مكانها مع الصحف الدولية جنبا

لجنب • وتجلس على قمة التقدم الباهر فى شىء من العزة والكبرياء ••••

فشجعوها يا قوم فانها منهلكم العذب الذى تردونه حالما يكون يكون للظماء فى نفوسكم شعلة وضرام • شجعوها فانها نور الحقيقة الساطع الوضاء •• ونحن باعتبارنا امة تنصلت او تسعى فى التنصل من قيود الجهالة ان لم ننهض باكبر عامل للعلم فماذا يا ترى نفعل ؟ انظل نتطلب الكمال والرفعة ونحن على نفق من الارض • ام نكون كازغب يمنى نفسه ان يحلق فى مطار الفضاء والافاق وعلى مراى ومسمع من النسور والقشاعم •

محالا نطلب لو فعلنا ذلك ونتلمس امرا لا يتسنى لنا تحقيقه الا باجراء العمليات التى تمهد لنا السبل •

والان نود ان نعرف ما هو ذلك الشىء الذى يضمن لنا النهوض ويكفل لنا استقلالنا الادبى كما استقلت من قبلنا امم كانت جماعة الارض تنظر اليها بعين ملؤها السخرية والازدراء • ؟

وهنا نقول ان الاشياء كلها تكاد تتوقف على الانسان وتكون رهن اشارته ومبغاه اى ان كل شىء لا يتم الا بالانسان فالصحافة هى التى تضمن لنا النهوض والاستقلال الادبى ولكن من ذا الذى يضمن لها هى النهوض ؟

الانسان من غير شك !

واذن فكل شىء يرجع الى تعضيده وينتهى الى موازرته •

فلنرتفع بالصحافة لترتفع بنا · ولنولها عطفنا وحناننا المادى لتمطرنا بكل عطف وحنان ···

العلم شيء والمادة شيء آخر لو وضعناهما في كفة واحدة لتبين لنا مبلغ حمقنا الذى يحملنا الى ان نقارن بينهما بوجه من الوجوه·

المادة ما كانت لتستخدم فى صلب المنافع والاصلاح · وهل كان العلم الا لتخدمه المادة باعتباره منفعة واى منفعة ؟

من لنا بفهم الاشياء على حقائقها الثابتة حتى نقدر كل شيء قدره · ومن لنا برؤوس عاملة وايـاد ندية تعمل فى مناصرة الصحافة الى غايتها المنشودة فسوف لا تكون لنا صحافة ما لم نكن كلنا يدا تعمل ورأسا يفكر ما لم نفكر بالمادة ونؤمن بالعلم ·

ما لم نحطها بسياج سميك من رعايتنا حتى لا يكون ثمة مجال ليد تمتد اليها بسوء او اثام · اذا فعلنا ذلك وكنا على جانب من الايمان القوى بان الصحافة هى ام الحضارة وبنت العلم فاننا من غير شك سنتذوق طعم هذا الاعتقاد يدب فى حواسنا شهيا ممتعا ·

وندرك الى اى درجة كان يرمى بنا الجهل فى اغفال الصحافة والى اى حد كنا عنها صادفين ·· ونظرة واحدة نلقيها الى الغرب ونجود بها ازاء ربوعه العامرة تثبت لنا جليا ما نريد ان نقوله من ان الصحافة لا ترتفع بالانسان فكفى بل بجانب ذلك تجعل له سيطرة على رقاب الناس اجمعين ·

وها هى اوربا مضرب المثل وملفت الانظار فانها لو لا تقديرها

للصحافة وسعيها حثيثا فى سبيل معونتها بالنفس والنفيس لما اصبحت وفى يدها الحل والربط ومقبض نواصى الاباء والاجداد · ولو كان لاحد ان يقول ـ لكنت انا ـ انها فكرة نبتت على ثرى المريخ فحصدتها الملائكة ثمرا ونثرتها على الارض فجاء والتقطها اول مار على الطريق الاقدس واخذ يقلبها معجبا بهذه الثمرة التى لم ير قبل اليوم اختها على مسكونته الغبراء · فنازعته نفسه على ان يتذوق طعمها فلربما كان موافقا لشكلها الانيق ·

وقف يتنازعه عاملان « كل » و « وانظر » ولما كان عامل « كل » اقوى من ذلك العامل تغلب عليه وطغى على كل عامل داخلى آخر · فقربها من فمه مستكبرا اكلها مستعظما ضياعها من بين يديه داخل الامعاء ·

دفعها بشدة فى فمه فوجدها الذ مما كان يحسب واشهى مما كان يظن ···

إحس بافكار تملأ رأسه ·

ماذا يا رب انها افكار الهية تفيض بها راسى فيضان البحر بمنبسط الصحراء ··· ميول الى القراءة · ميول الى الكتابة · ميول الى التفكير · ميول الى ·· غير ذلك · كل هذا احس به الان فاى سر هذا الذى حجبته عن مقاديرك يا رباه ·

لو عرفت ذلك الشىء الذى حرك فى هذه البواعث لاكثرت منه فما هو يا رب ·

عجبا عجبا طغت الافكار مرة اخرى وزاد الميــول · واصبحـت احس كما لو كنت ريشة فى مهب عاصفة موج ·

ومالى الى ان استسلم الى هذه الافكار طائعـا وانـزل تحـت ارادتها غير منازع ولا مقاوم ··· عجبا · زاد وطغى وعظم الامر· اين ··· اين اليراع اين الدواة اين الــة الطباعة ؟ هى هذه امامى سهلة التناول قريبة المنال فماذا افعل ؟

لم يبق امامى الا ان اكتب··· اكتب للناس معجزة الاجيال· اقول لو كان لاحد ان يقول هذا لكنت انا ذلك الاحد الذى يدين ويؤمن بكل ذلك عن طريق المعرفة الخيالة التى تتردد فى ضميرى كلما فكـرت عن الصحافة وكيف نشأت ·

فالصحافة بحق اعظم مما نتخيــل فهى القـوة الهـايلة التى ان شاءت اعملت براثنها فى امعاء الظلم والطغيان واوشجت رواجبها فى يد الاستبداد الممقوت فثلت غروشه وقوضت اركانه السوداء · ان (الصحافة) لو شاءت عزائمها هتك المغيب وما ولت باخفاق هى قدرة الفكر المتين القائم على الحق والصواب والمستوى على العدل والحرية ·· ذلك العقل الناصر للمبادىء السامية والمجد فى رفـع الانسانية الى الغاية التى خلقت لتدركها فى الحياة ·



الأدب والفن عندنا

يكـاد ينحصر الادب عندنـا في الكتابة وانشـاء المقـالات التي لا جديد فيهـا غيـر تنميـق الالفـاظ والنعي على حاضـر البـلاد ومستقبلها واذا فحصت المراد منها خرجت من مقدماتها بغير نتيجة تفيد القراء لا في الاجتماع ولا في الاخلاق ولا في الاصلاح النفسي ومثل ذلك كل من يقرض الشعر الغير الناضج ٠

فلا تكاد ترى روح الشاعرية التي تعبر عـن الاحساس الدقيـق وتمثل العواطف المستكينة في روح الشاعر فضـلا عن خلـوه من المعاني التي تحوى شيئا من الجديد غير المطروق وانما هو خيـال بارد والفاظ متنافرة هي الي التقليد اشبه منها بالمبتكـر ومـع ذلك يظن نفسه اديبا وشاعرا محلقا ٠

على ان الاديب من استطاع ان ينظر الى الحياة بعين المتبصـر الواقف على وقائعها ومشكلاتها اجل هو الذى ينظر اليها بعين العلم وتنظر اليه بعين الاجلال هذا هو الاديب حقا اما الحقيقة الناصعة فان الادب عندنا متأخر كثيرا ولا يؤاخذنا الشعراء والكتاب الذين اوقفوا انفسهم على النثر والشعر في تلك المواضيع غيـر المجديـة التي لا تشرئب اليها النفوس المتطلعة الى المدنية الحديثة والطامئة الى مناهل الادب الراقي واذن فالادب عندنا لـم يتقدم الى الامـام كما تقدم في البلاد الاخرى واما الفن فلسنا منه في شيء البته ولكن

الى أي شيء نعزوا تاخرنا ٠ ؟

الى عدم صلاحيتنا لتلقى الادب والفن ام الى عدم صلاحية بلادنا من ان يكون ادباء نابغين وفنانين ماهرين كما كونت البلاد الاخرى الناهضة ٠

ونستطيع ان نرجع هذا التأخر الى عدم تشاغلنا بهما والسعى وراء ما يرقى افكارنا ولا اقول متشائما ان السبب عدم صلاحيتنا لاننا معشر السودانيين لسنا بقاصرى الافهام والمدارك كما اننا لسنا بالامة الجامدة التي تابى الطبيعة منحها ما منحت به سواها وانمايعوزنا الاقدام والمثابرة على الاقتباس والاخذ بكل ما هو جديد ممتع ولذيذ ولدينا من الوسائل الكثيرة ما يحقق مالنا ٠

هنا يقف الانسان حائرا ويذهب به التفكير كل مذهب ثم يعود وليس معه الا ان ينادى بان هبوا معاشر السودانيين ودعوا ما انتم عليه من تواكل حتى تنهضوا ببلادكم الى المستوى الاعلى من الاداب والفنون كما تحتفظ جاراتكم من البلاد بكميات صالحة من رجال الادب والفن النابغين ٠

اما اغانيكم التى ملأتم بها اسطواناتكم فانها جوفاء بعيدة كل البعد عن اغانى الامم الحية ومثلها صنائعكم كالاطباق التى تصبغونها بالطلاء و (كالجبنات) التى ترصعونها بالسمك (السكسك) وكالاحذية والمحافظ الجلد المنقوشة بتلك النقوش البسيطة التى لا يعز على قليل الادراك عملها وقس على ذلك اغلب مصنوعاتكم التافهه التى اقمتم لها المعرض كانها من الفنون

الجميلة ·

ولا انسى ذلك اليوم يوم المعرض ولا انسى ما فيــه من خرافات القرون البائده ممثلة فيه بسذاجتنا وبلاهتنا وقصر ذوقنا الفنى ؟؟

واذا اعددنا الكرة فى الكلام على توقيــع اغانيـكم والحانهـا لا نجد ما نمدحها به غير الضجة والنبرات الجافة ولحـن الاعراب فى ابياتها الموضوعة باللغة الدارجة التى لا يفهمها الا عوامنا ·

ولا اجد لهذه الفوضى الا اننا اهملنا هذا الفن الى من لا يحسن اجادته من الذين لم يهذبهم العلم وبالطبع لم يكن لهم المـام بالحان الغناء وتوقيعاته الموسيقية التى تاخذ بالنفوس بدلا من تصديعهـا ولقد كانت اسلافنا العرب تنشىء الاغانى ولكنها فى قالب من بلاغة العربية وتراكيبها واوزانها واما مغنيو بلادنا فهم طائفة من عشاق الرقص والخلاعة التى مضى عليها مئات السنين لم تتقدم خطـوة من الرقى الى الامام وليس ثمــة من كتــب يرجعون اليها ويسيرون على اسلوب تعاليمها والشىء اذا لــم يكن لــه اســاس كان حليف الفوضى والاضطراب فهل يفطن مواطنونا الكـرام الى تنظيم تلك الاغانى على طريقة ترفع مستواها ؟

انى لاعرف استاذا من الطبقة التى تغــار على هذا الفن وكثيرا ما سعى الى تهذيبه ولــه فى ذلك القصائد الجمــة التى لا تقـل عن الشعر العربى متانــة ورقــة مصبوبة فى قالــب من اللفظ العربى الصحيح المبنى على السهل الممتع ولا ابخل عليك سيدى القـارىء بذكر اسمه كما انى لا اخالك تجهل الاستاذ حسين منصور ·

وفى الختام اضرع الى متعلمى الوطن ان يكونوا كلهم يدا عامله فى رفع بلادهم الى مصاف البلاد الراقية وانزالها المحل اللائق بها من الفنون والاداب والذوق الانشائى والشعرى حتى نصبح امـة ولها مكانة من آدابها وفنونها ٠



الاجرام في التاريخ

لم يزل الانسان منذ اقدم العصور يشعر برغبة ملحة الى الاجرام وحاجة شديدة الى الاعتداء على اخيه الانسان والتغلب عليه وسلبه كل ما له من مزايا في هذه الحياة ليستقل بهما دونه وتنفرد بها نفسه المجبولة على حب الاجرام · وهذا هو التاريخ يحدثنا عن اكبر حوادث الاجرام والمجرمين ويوقفنا على نفسياتهم لنحللها من خلال تلك الثورات الدموية التي لم تكن ليقر لها قرار ولا لتهدأ لها ثائرة في يوم ما من ايام تلك الحياة الماضية وذلك الانسان المنصرم الذي لم تزل ابناؤه ـ اناس اليوم ـ يحتفظون ببعض عاداته واخلاقه الشريرة احتفاظهم بالبنوة له والانتساب اليه ·

ولقد خلق الاجرام مع الانسان في يوم واحد ·

اي لقد خلقت قابلية الاجرام وعاطفته عند الانسان في ذلك اليوم الذي نزل فيه ظهر هذه الكرة الارضية واطلق عليه اسم الانسان ·

وتلك العاطفة هي التي اوحت الى قابيل قتل اخيه · ولو لم تكن موجودة لما نزعت نفسه الى الشر في حين انه لم يسبقه عليه احد · واذن فالاجرام ليس بوليد الامس القريب وانما هو ترب الانسان وابن يومه ·

واول شيء جمل الانسان على ان يجرم هو الغيرة والحسد

وبعدئذ تنوعت اسبابه واتسعت وسائله بتنوع واتساع الاعراض الحيوية التي نشأ من جرائها التطاحن والتقاتل حتى في اتفه الاشياء التي لا يقام لها وزن ·

وحوادث القتل التي تقع الفينة بعد الفينة انما تكون – في الغالب – معلقة على سلب اعراض الحياة لا الحياة نفسها فالقاتل لا يريد ان يكسب حياة اخيه المقتول ليزيد بها سني حياته انما يعلق عليها اشباع رغباته للنهمة وارضاء نفسه الجياشة بشتى المآثم والعدوان ·

وحيث كانت الحياة مصدرا للاجرام فقد كان هو سببا الى بقاء بعض الانسان الى وقت ما يتغلب على بعضه البعض وبالمدافعة دون نفسه بوازع حب الحياة والبقاء ·

وما من نفس الا وتنطوى على شيء كثير من تلك العاطفة الاجرامية التي كسرت من شوكتها وهدأت من تأثرتها هذه الحكومات المطلة اليوم على أعمال الناس بعين لا تغفو ولا تنام ·

ولو لاها لأصبحت الحياة مسرحا تمثل فيه الثورات الدموية وحوادث السلب والنهب بكثرة على مرأى ومسمع من الانسانية التي تبغض هذه الاشياء على انها لا تتفق وقانونها السلمي في حال من الاحوال ·

وان مادة واحدة من قانون الانسانية لتحرم تحريما باتا كلما يجنيه الانسان من أثم وعدوان بله القوانين السماوية وما كان للوضع فيها من اثر · على ان الانسان لا ترعوى عواطفه الاثيمة

في سبيل تحقيق اغراضها بالرغم مما تنوء بـه هذه القوانين من عقوبات صارمة وتهديد وانذار ولكنها تذهب في تحقيق اغراضها غير هيابة ولا وجلة حتى اذا ما اصبح العدل في حاجة اليها رأيتها ترنو بعين الحسرة والندم على ما اتته وتمتلىء رعبا ووجلا لم يساورها قبل ولم تفكر فيه حين الاقدام ٠

وعاطفة الاعتداء عمياء لا تنظر امامها حتى تقع في هوة يربض فيها الموت الزؤام حيث لا ينفع الحذر اذ ذاك ولا يغني فتيلا ٠

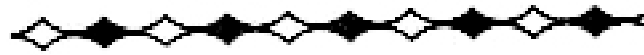
والعامل الوحيد في هذا الوبال الذي كان ولم تزل تـرزح تحته الانسانية هو ثوران العواطف التي لا يملك معها ضعفاء الناس اثرا على القمع والرد ٠

وقد دلت التجارب على ان المجرمين جميعهم ضعفاء في نفوسهم وان كانوا اقويا في اجسامهم ٠ اذ الواحد منهم لا يستطيع ان يضغط عواطفه حينما تثور ٠ بل يقف بعيدا منها ويدعها تطفو وتثور حتى يحدق به الخطر وتكتنفه الاهوال ٠ واذ ذاك يثوب اليه صوابه ٠ والهلع الهلع ولات حين مناص ٠ والجرم كل الجرم على تلك العاطفة التي رمت به في هذا القليب البعيد الغور يرفع رأسه فلا يجد من يأخذه بيده ويكون عونا له على الخلاص ٠

ويلتفت وراءه فلا يرى الا الموت يفغر فاه ليبتلعه والى يمينه وشماله فلا يرى الا العدل يمسك بهما واخيرا الهلاك الهلاك ولا منجى ولا فرار ٠٠٠

والان ٠٠ الان ايتها العواطف رحمة بالانسان وعطفا عليه

وكفاك قسـوة وصرامة ولتقمعى شـررك الذى يتطايـر الى قلوب البرايا ويندلع الى سويداء الانسانية البريئة فلا تمتلـك معـه الا الانين المر والتوجع القتال ·



الطلبة هنا

هنا في هذا البلد الذى لا تضـــع فيــه كلمة « هنـــا » الا ووراءها النقص · وراءها الشعور بأن الامر هنا لـــم يأخــذ تمامه فى شىء قط ، ولم يستكمل نظامــه فى وجــه ما · هنا حتى فى حيــث تتفتح الحياة على حركة العلم لتضع بايدي نشئها الصالح معانى القـــوة والحركة والنشـــاط فى جوانبهـــا الساكنه ولتبــث الجمال والنور والخصب فى مرافقهـــا المجديـــة ولتتخلص باولئــك مـــن عوارض الضعف وعوامل الوهن والانحلال والفقر الحيوى · هنـــا حتى فى هذا يتركز الداء ويتاصل فلا الطلبة المروجون بذوى اثر وان قل فى هذا المجتمع الهـــامد · ولقد تكاد لا تشـــعر بهم الا اذا رايتهـــم فى ثيابهم البيضاء يعبرون طريقا الى اخر وكأنهم من فـــرط ما تحمـــل رؤوسهم من معنى شرف العلم والطلب يدلـــون على الناس بانهـــم طلبة علم ·

اما ان تسأل عن أثر هذا العلم الذى يطلبونه فى المجتمع وعـــن ثورة هذا الشباب وسلطان هذه الحداثة التى يزهون بها فى ميادين العمل المفروض عليهم وهم طلبة قبل ان يمسخوا شيئا اخرا فينقطع ما بينهم وبين هذه الجذوة الوافدة اليوم بين اضلعهم جذوة العلم والاصلاح والوطنية الصادقة النقية التى لا تعرف الخضوع لشىء ولا التحفـــظ من شىء اما ان تســـأل عن هذا فانك او ارحـــت نفســـك لكفيتها شر ما يجر عليك من مضاضة الالم ·

ونحن انما نعطى الطلبة هذه القيمة ونهبهم هذا الاعتبار ونعدهم جزءا هاما يستطيع ان يوثر فى مجتمعنا ابلغ الاثار لانهم يجب ان ينالوا منا ما يشعرهم بخطورة مكانتهم فى الحياة وقوة اثرهم فيها ان علموا ما لغيرهم من الطلبة الاخرين من قوة الشخصية وبلاغة الاثر فى محيطهم الذى يعيشون فيه · ومن هذا تعلم انا لا ننحل الطلبة شيئا ليس لهم ولا نخولهم حقا هم اخر الناس فى امتلاكه ·
كلا ولكنا ايها الطلبة ان كنا احفظ لقداسة هذا اللقب الجميل فنحن اعرف بواجباته ايضا نحو هذا البلد الميت حتى فى مكان الحياة منه ـ اعنى انتم فلا يحرجنكم ما اهاجمكم به الان بعد ان لم يبق لدى ما اتجمل به فى انتظار حملاتكم الصادقة وثوراتكم الجريئة على هذا المجتمع الذى فسد من صميمه وتأكل ، وعبثت به الاغراض والاطماع الزائلة وتحكمت فيه الاهواء الشخصية الجائرة وبقى احوج ما يكون الى نفوس برة نقية تعمل باخلاص فى سبيله متحركة ابدا نشيطة ابدا مهاجمة ابدا صريحة جريئة مؤمنة بان صالح المجموعة فوق منفعة الفرد · وما لهذا الا الطلبة وهم بعد ابعد مكانا من الريبة وادنى منزلة من نزاهة الاشراف ونقاوة المصلحين فلا تغمطوا حقوقهم ايها الناس ·

اجل ليس لهذا الا انتم ايها الطلبة فابرزوا فان الطلبة فى الخارج ليحررون الامم ويمجدون الشعوب · اخرجوا وهاجموا كل ضعف فى جسم الامة مضى عليه الشيوخ ودرج عليه الشباب صامتين ·· الامة الان ايها الطلبة عمياء لا تبصر حائرة لا تهتدى، جاهلة لا تميز مضروب بينها وبين نور الحياة فلو دخلتم الاسواق فى كل اسبوع مرة . ولو تسللتم الى المجتمعات ولو اقتحمتم

المجالس تحدثون الناس فى مختلف شئونهم وتلاطفونهم القول وتسحرونهم باللين وتحملون اليهم فى السنتكم مجاجة الحياة المهذبة لاستطعتم ان تحدثوا تغييرا هاما فى هيكل الفكرة الخاملة التي يحملونها للحياة ولملأتم قلوبهم تقديرا للعلم وايمانا بكم ثم ما يلبث ان يكون لكم من انفسهم مكان رسل الخير - وملائكة الرحمة٠

وهذه المجلة التى تقف حياتها لخدمة البلاد ليهمها ان تفرد لكم منذ العدد الاتى صفحة هى لاقلامكم وقف وعلى ارائكم محبسة فتقدموا فقد آن الاوان وحاولوا الاصلاح من شتى اوجهه تحمد لكم الامة عملكم المبرور وتقدر لكم جهادكم الصادق فما انتم والله من تطيب النفوس بجهودهم ان تضيع وبنشاطهم ان يذهب وما انتم والله من نرضى لهم هذا الانزواء وفى ميدان العمل متسع للجميع ٠



من جلالة الملك فاروق
الى مؤرخ السودان

نعم من زين شباب الملوك وريحانة عرش مصر · من الملك الذى يذهب من معانى الملك على اجمل اوضاعه فتلتقى فى مدار عرشه روعة السلطان ووضاءة الكوكب ·

نعم هو من فاروق · فاروق الذى ينزل من الدنيا الان منزلة الفجر يملؤها املا باشراق محياه الوضىء ، ويوسعها يمنأ ببهجة وجهه الباسم فما تزال منه بين ملك وحبيب حتى ياخذ بها الى النور ماخذ النبيين بين موكبين من جمال وجلال هما اسمى ما نفض التاريخ عليهما كرائم لاليه ·

من فاروق وكفى · فان اسمه هذا السماوى ليسع من معانى النور والخير والحياة اكثر مما يسع من معانى الملك والعرش والتاج ثم ما يكون هناك الا فاروق معقد الامل من وادى النيل ومناط الرجاء من مطارح الشرق ، فياالله ما اجمل واكبر واحلى ان يتنازل الملوك وهم مكان الرمز فى سمو الحياة ·

لقد كان منذ ايام الاستاذ الجليل محمد افندى عبد الرحيم ان يبعث بنسخ من محاضرته (العروبة فى السودان) هدية ولاء واخلاص الى جلالة ملك مصر المحبوب وسمو شقيقاته الاميرات غير مقدر ان يكون لها من جلالته هذه العناية التى لن تحدث الا عن

اخلاق ملك سمح وما هي الا ان تنـازل جـلالته وامر بالكتابة الى الاستاذ محمد عبد الرحيم يشكره على الهدية القيمة ويحدثه عـن حسن موقعها عنده وعند سمو شقيقاته الاميـرات فلله ما اجمـل واكبر واحلى ان يتنازل الملوك وهم مكان الرمز في سمو الحياة ٠

وماذا يريد المؤلفون اكثر من هذا حتى يتجـدد فيهـم النشـاط وينبعث منهم كامـن القـوى وهـل ادعى لحفزهم وبـذل جهودهم راضين مغتبطين من هذا الذي يقع كالندى على قلب المؤلف المكدود سيما ان كان في مثل هذا البلد ليس فيه ما يشجع على التضحية او يمين على التاليف ٠

وقديما كانت لكلمات الملـوك التي يتفضلون بهـا على العلماء والادباء اكبر الاثر في احياء الجـذوة العلميـة واضـرام عزائـم الكتاب والمؤلفين حتى بلغت ثروتنا من العـلم والادب الى ما نـرى الان من المكاتب التي تعج وتزخر بأدق الموسوعات واغلى البحوث٠ وفي الحق انه لو لم يكن للشرق ملوكه وامراؤه الذين لم يغفلوا امر تشجيع العلماء والادباء فيه والذين كانوا يدركون ما تتركه كلماتهم الوجيزة من حسن الاثر في نفوس اولئك المساكين ، لمـا قامت لهذا الشرق قائمة من علم او أدب ولما كان له اليوم هـذا التاريخ الادبي الحافل بأبهج وأثرى ما نقرأ الان من مجلدات في شتى فروع العلم ووجوه النظر ٠

ومنذ ان صدرت هذه المحاضرة والمؤلف يوالي اهداء نسخ منها الى كبار الوزراء والزعماء والقادة من القطـر الشقيق ويتلقى في كل بريـد عشرات الرسائـل الرقيقـة يعربون فيهـا عن شـكرهم

وتمنياتهم للسـودان حتى كـان ان وصل هـذا العطـف الملـوكى السامى • فالاحيا الله زين شباب الملوك وقـرن بالتوفيـق عهـده الامبى الجميل •



مندوبو الصحف

اعتاد بعض الناس يوم يعرض عليهم مندوبو الصحف امر الاشتراك في الصحيفة التي تنتدبهم للقيام بمهمة التحصيل لها او ايجاد مشتركين جدد تتسع بهم دائرة رسالتها وتعمهم ثمار جهودها ويتحقق فيهم الغرض الذي من اجله تعمل جاهدة ليتم وينتفع من ورائه اكبر عدد من الناس • اعتاد هذا البعض منذ زمن ان يلهج دائما بكلمة واحدة في وجوه هؤلاء المحصلين بانه انما يشترك لا حبا في الصحيفة او حرصا على الفائدة التي يجنيها من ورائها اذ ليس لهذا اعتبار في نظرهم او ان الصحف السودانية كما يقولون ليست بذات القيمة التي تشجع على هذا ولكنهم يشتركون (جبرا لخواطر المحصلين) واذا كان حقا ما يقوله هذا البعض فانا لنرى ان الاجدر بهم ان يكونوا صرحاء لا يعرفون المجاملة ولا جبر الخاطر وليعلموا ان في عملهم هذا ما يسيء الى سمعة الصحافة في هذا البلد • هذه الصحافة التي لا تنهض الا على خواطر محصليها ايها الناس •

ذلك مع احترامنا لهؤلاء المحصلين وتقديرنا للخدمات الجليلة التي يسدونها للصحف كيفما كانت طرق هذه الخدمات • ونحن لم نكتب هذه الكلمة الا تحت الحاح بعض هؤلاء المندوبين ويقولون انهم موفقون في اعمالهم جد التوفيق لانهم يستغلون خواطرهم هذه (الناعمة) استغلالا حسنا في بلد ليس للفائدة الادبية فيه

شأن يذكر ولكنهم يضيقــون لكثرة ما يحملهم القــوم من منــن انهم لا يريدون المجاملة بعد اليوم والصحيفة التى لا تستطيع ان توجــد قراءها بمحض عملها لخير لها ان تموت ... ومندوبو (امدرمان) بوجه خاص وفيهم من خبر هذا العمل وادرك ثقل ما ينؤون بــه من خدماتكان يؤديها لهم هذا البعض شخصيا ايام عملهم مع غيرهــا يطلبون الينــا ان نســبقهم بهذه الكلمة وان نكــل امــر معونتهــم وسدادهم في مهمتهم هذه لا الى مقدرتهم الذاتية فى لفت النظر الى ان لهم خواطر ينبغى الا تكسر ولكن الى مقــدرة المجــلة وحدها فى استلفات النظر وهى بحمد الله تصادف من عددها الاول ما يملؤنا ثقة بالمستقبل وايمانا ببقائهــا تنشــر بين الامــة ما اليه انشاهــا صاحبها غير مبتغ من ورائها ربحــا الا ان تحمل نفسها ثــم لا شىء بعد ذلك .

ومجلة امدرمان تؤكد لقرائها انهــا تطــوى صحائفهــا وتعفى الناس من كلفها يوم يفضى بها الامر الى ان تطلب القــراء لا عــن طريق ما تحمل من قيمة ، اما وكلاؤها ومندوبوها الذين نعتمدهــم فيما يتصل بالمجلة من اعلانات واشتراكات وتحصيل فهم حضرات الافاضل ـ الشيخ محمد صالح سعيد وكيــل المجــلة فى المديريــة الشــمالية وصاحــب مكتبة الاســلام بعطبــرة وعلى افندى اردب والشيخ ابو عثمان جقود والشيخ ابراهيم محمد ابو نبوت ، .



الأدب القومي والمسرح

منذ ان بدأ ادباؤنا القوميون يساهمون بنصيبهم في خلق الحياة الفنية المغربية ، ويدفعون بموكبهم الحاشد الى حرم الفنون الرفيعة ، ويزاحمون بمناكبهم القوية في معترك التأليف بدأنا نستعرض ادبا يحاول جهده ان يفاجيء سر الحياة في مكمنه الخبيء كما يفعل الادب القومي ، ويستلهم اسرار القلوب ليبعث بها اشخاصا متحركة على خشبة المسرح ، بدأنا نستعرض الروايات التمثيلية بلهجة القوم هنا ولغتهم الدارجة · ولا والله لم تقعد بهم دارجيتها هذه عن تبليغ ما يريدون تبليغه الى الناس ·

ولقد حظي محرر هذه المجلة منذ ليال بمشاهدة (بروفة) احدى الروايات القومية واسمها فتاة المستقبل من وضع الشاعر القومي خالد افندي أحمد سليمان وتخريج فريق العمدة الرياضي الناهض استعدادا لتمثيلها بنادي عطبره في ٣١ اكتوبر – اليوم – فلم يسعه الا ان يكتب هذه الكلمة القصيرة افصاحا عن اعجابه مما اصاب شعراؤنا القوميون من توفيق ·

وانا لنأمل ان يعمل فريق العمدة في تمثيلها مرات ومرات حتى يشهد القوم هنا من فن الدعاية الحية لتعليم الفتيان والفتيات على السواء ما عساه مجد في لفت نظر الاباء والامهات لضرورة التعليم وتعليم الفتيات بوجه خاص ·

الكسكتة

كان في شبابنا الى عهد قريب بقية من حياء · وكان فيهم قليل من تقيه · وكانوا على نزوات الشباب بعيدين عن التبذل والهون وكانت فيهم عــزة الكريــم وعندهــم كبــرة الانف · شــباب كان والله على ما اصاب من غربية معتدلة ـ يقدر شعور الاباء ويحترم نظام العرف فلا يخرج على نين بحال الا بمقدار ما تدور به الحياة حتى يوشك ان يبلغ مبلغ الالفة فلما مجن الدهر وفجرت الاخلاق غاب اول ما غــاب عن شبابنا حياء كان يمسكهم على وقار ، وطبع كان يردهم الى انفــه فنسوا الله فانساهم انفسهم حتى حملوا في رؤسهم الاعلان الناطق عن ســفاهة ـ اوربا ـ وحتى مشــوا به مزهوين معجبين لا يــدرى الواحد منهم كيف يصح هذا الاعلان فما يزال يدور به من فــود الى فود من فرط ما يشغل عليه نفسه · فلو قدر لك ان تظفر بالكلام الذى يختلف بين قلبــه وفمه وهو صــامت لكان كله حــول هذه الكسكته الجديدة عليه المرموقة منه بنظرة الهوى والاعجــاب ·· ولعمرى ان هذا الزى البغيض لا يقبله دم يمسكه على شرقيته السمحة قليل من حفاظ وتعود به الى عربيته الخالصة لفتة من ذكرى ويلفحه من دينه لافح من خشية ويقين ·· لعمرى انها الوقاحة توضع فى مكان الفضــل والصفاقة توضــع موضع الزينــة· انها الفجــور والبغي والمعصية والخروج على الشرق وعلى العربية وعلى الاســلام· ان فيها ايها الشباب عبثــا بانفسكم لو علمتم· فلقد عادت بكم مســخا سوداء لا هى بالبالغة ان تكون سودانية ولا اجنبية· هذا الى ما اخذت

تبعثه من شعور الاشمئزاز والسخرية عند الاجانب يوم يرون هذا المسكين المزهـو زهى الطفل بثيابـه ضحوة العيـد مأخوذا بهـم مخدوعا بأزيائهم ٠ يحاول ان يندمـج فيهـم وان يبيض بخصائص البيض وما يـزداد الا سـوادا فى اعينهـم ٠ هم يسـخرون لانهم يعرفون انه يئد وطنيته وأداً وينبح فى نفسه كل شـعور بسودانيته التى يجب ان يعمل لها حتى تكون ذات كيان محترم ووضع معروف وهذا وامثاله انما يعيشون على فكرة مزهـوة فى رؤسهم ورؤسهم انما تعيش فى هذه الكسكته فهى ابدا فى قطعة حية من اوربـا ليس لها من السـودان الا انـه صنعها لتشـحن فى هذا الكيس الاوربى طردا دائرا لا مكان له لانه لا شىء فيه ؟

يا قوم اتقـوا الله فى هذا البـلد اتقـوه فى هذا الشـعب الذى ينتحر انكم تسحقون شخصيته سحقا فلا تدعون له ذاتا يتميز بهـا فى حين يتميز كل شعب بميراثه الخاص من كل شىء سيما الازياء اذ كانت هى التى تجسم عزة الامة وذاتيتها تجسيما حقيقيا وتهبها بعض الاستقلال والحرية التى يشاء الله ان يفقدها هذا البلد فى كل جانب ٠ وانا على كثرة ما اتخذنا من الازيـاء الافريقية والعادات الاوربية فليس هناك اعـرق اوربيـة ولا اشد لفـارا معنا من هذه الكسكته فلو رايتم ان تصنعوا بها ما يرضى الله ويبر الاباء ويمجد الوطن فستحيون الامل من جديد وتطردون من هذه النفوس المحزنة ما وسوس فيها من ظنون ٠

******

آل فلان وآل علان

آل فلان ـ كلمة اخذتها حياتنـا في بعض ما اخـذت من تقـاليد ووقفتها على الاغنيـاء ومن فى حكمهـم من الوجهـاء واصحـاب المناصب · وهى يا صاحبى كلمة عربيـة فصيحـة لـم يختص بهـا اللسان العربى غنيا ولا فقيـرا وانما وضعهـا واشـاعها بين هذا وذاك ·

كما ان لله فى خلقه شؤونا فان له فى هذه اللغة شؤونا ايضا اذ لم يكن لهذه الكلمة شـان من قبـل الا كمـا كان لكـل هذه الكلمات الاخرى فماذا خرج بها من وضعهـا المتواضـع واجـراها مجرى الكلمات الكبيـرة التى تهـول والتى ترهـب واصـبح لا حـق فى استعمالها لغير هذه البيوتات الكبيرة ·

اما الفقير ، اما رقيق الحـال فلن يكون الا معرضا نفسه للهـزء والسخرية يوم يحاول ان يقول عن اهله (آلـى) ولو كانوا فى مثل شعر راسه عددا ·

واما اغنياؤنا ووجهاؤنا فهم يرعاهم الله ويحفظ خزائنهم قـوم لكل منهم (ل) ولكل منهم اسرة ، هى الدنيا باسرها قاعدة قائمـة كما يخيل اليك انت ان كنت ممن لم يعرف كثيرا ولا قليلا عن هـؤلاء السادة الاغنياء · والواقع ان بعض الاغنياء لايد لهم فى خلق هذه

الالقاب وانما هى بعض صحفنا التى تروج لهذه الاوهام حتى لقـد عدنا نسمع فى كل يوم التبشير بـــأل جديد فى اعلانـات الشـكر والعزاء وحفلات الزفاف والماتم وغيرها ، ولعـل صحفنا مقلعة بعد اليوم عن هذا الاتكيت الجديد من فن الدعاية الكاذبة •

****

سلحفاة شركة النور

وما ينكر القارىء من هذا العنوان ،

انه لصحيح ليس فيه ما ينكره احد من الذين اسـتقلوا ظهر هذه السلحفاة لا للعبث واللهو وقتل الوقت ولكن للعمل والجـد وكسب الوقت على ان سلحفاة الشركة هذه لا شان لها بهذا ولا بنا نحن بل سواء عليها اكنا متعجلين ام مطمئنين فتظل على حـد ما يقـولون « تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل » ٠

والله وحده يلطف بك من الحرج والضيق والملالـة ساعة ينقطع زحفها في احدى محطات المقابلة ، انك لا تملك يومئـذ ان تصرخ ان كنت من الصنـف العصبي وكنت في الدرجـة الثانيـة وفي نحـو الساعة الثانية مثـلا فالشمس ليسـت ببعيدة عنـك ٠ انـك لتكاد تتناولها قاعدا حتى لكانها ــ تابعة ــلشركة النـور لا يحجبها عـن زبائن الشركة ركاب الدرجة الثانية غير حجاب المغيب ٠

وسلحفاة الشركة هذه اذا امسى عليها المساء رجع مستخدموها ينفضون على مكتب خزينة الشركة اكياسهم التي لم يبق فيها مكان يسع قرشا اخرا ٠

كل هذا وشركة النور لا يهمهـا شيء من راحـة الركاب ولا من وقتهم ما داموا يدفعون لها الاجر كاملا غير منقوص ٠

فالى متى نحن صامتون على هذا ايها الناس ؟

افليس ثمة من عمل حاسم ترغم به هذه الشركة على ان تعدل من خطتها هذه وتعنى براحة هؤلاء الركاب الذين لا يغادر الواحد منهم الترامواى الا بعد ان يلعنه فى نفسه الف لعنة .

على ان هذه الراحة هى حق من حقوقهم التى يجب ان تتوفر لهم فاذا غطتهم الشركة هذا الحق فلانها تستغل حاجة الناس واضطرارهم اليها فى الغالب والمضطر كما يقولون يركب المركب الصعب .

وعلى اية حال فنحن نعرض لشركة النور هنا بعضا من مطالب القوم كما سمعنا منهم راجين ان تعمل العمل السريع الذى يحدث من اهتمام الشركة بزبائنها على غير ما علق بالنفوس من فكرة الاهمال : وهى ان تجعل الستائر الواقية لركاب الدرجة الثانية وان تعد مقاعد الدرجة الاولى بالمراتب حتى يكون هناك معنى لهذا الفرق بين الاولى والثانية وان تضبط من مواعيد ترموایاتها فى المقابلات او تتخذ الاشارة الكافية التى تدل على خلو الخط او عدم خلوه حتى لا يلحق الركاب ضرر من فوات اوقاتهم وان تمد من اجل مواعيدها فبدلا من ان ينتهى الترمواى فى الساعة التاسعة مساء ينبغى ان يسير الى الحادية عشرة مثلا لانه الوقت الذى يمكن ان تقل فيه حركة التنقل وكثيرا ما يضطر بعض الناس للتنقل من الخرطوم الى امدرمان او بالعكس او الى الخرطوم بحرى فلا يجد ترموايا بعد التاسعة وهذا تقصير شديد من جانب الشركة نرجو ان تعمل على تلافيه .

وان تنصح الى مستخدميها ان يكونوا ظرفاء فى معاملة الركاب وان يقصروا جهدهم ليضعوا الحد بين الرجال والنساء لان المشاهد الان ان شيئا من هذا لم يعمل به فى الترمواى · فالنســاء ينتشرن فى كل المقاعد هنا واحدة وهناك اخرى وهنالك ايضا مــا لا يتفـق والكرامة والحياء والدين ـ وان لا تألوا جهدا فى عمل كل ما يدعو الى الشركة دعاية خيرا من هذه فى مقبل الايام ·



الخطابات

اخى المحترم الشيخ بخيت محمد بشير

بعد التحية

وصل الينا جوابــك تستفسرنــا فيــه عن صحة الاخ محمد على يوسف بشير فالف شكر لك ايها الاخ ولقــد تحسنت صحته والحمد لله بعد ان بلغ به الخطر بعدا ما كنا نامل فيه ان يحيا لو لا لطف الله وكان قرار الدكتور عنه انه مصاب بحمي خبيثة تعرف في اصطلاح الاطباء باســم « التيفود البطنى » او « التيفوس » تصيــب الاطفال غالبا ولا يسلم من خطرها الرجــال المسنون احيانــا وكل عملها ان تحدث قروحا في الامعاء وحرارة زائــدة في الجسم وضعفا شديدا في القوى وتورما في الطحــال والما في اسـفل البطن وتسمرا في اللسان فلا يستطيع المصاب بها الكلام الا بعد زمن طويل . ويمنــع صاحبها الاكل مدى اربعين يوما وبعد ذلك لا يسمح له الا باكل لــب الرغيف . ولقد نجى من خطرها ولله الحمد الا انــه حتى كتابة هذا الجواب اليك لا يقدر على الكلام ، بلغ سلامنا الى الوالدة واختنــا مدينه والاخت الصغيرة آمنه والابن المحبوب الامير الطاهر واختنا فاطمة واولادها وتقبــل من هذا ســلام والدكم يوسف بشير وجميع اخوانكم والسلام .

المخلــص

التيجانى يوسف بشير

المريض هو محمد علي يوسف بشير شقيقه وفترة مرضه ٢٥ ـ ١٩٣٦ م والطبيب الذى اشرف عليه هو التيجاني الماحي .

اخي المحترم الشيخ بخيت محمد بشير

حفظه الله

تفاؤلا بقبول تحياتي وبعد :ـ

لقد حمدنا الله كثيرا على ان وهبكم من فضله الشفاء من تلك الحمى التي نسأله ان يقطع كل طريق بينها وبينكم حتى لا تكون لها عودة ولا رجعى :

اخي بلغنا ان والدنا المحترم الشيخ محمد بشير اصيب ايضا بوعكة في صحته من تأثير حمى المت به قبل اسبوع شفاه الله منها . ولكي نطمئن نرجو ان تكتبوا لنا عن صحته وعن مدى تأثير الحمى في الكتياب وقد يقال انها اصابت خلقاكثيرا . فهل في البلد الاسعافات اللازمة لعلاج المحمومين . وهل شفخانة الكتياب تعمل بنشاط في هذه الايام ام ان الناس هناك لا يزالون على اعتقادهم من انها ليست بذات جدوى ولا فائدة .

اما انا فلقد بلغت حدا بعيدا من الضعف والنحول مع ان الدم الذي لازمني طيلة تلك الايام قد انقطع . ولست اجد من نفسي المقدرة على السفر لتحقيق العهد معكم بالاسف ولكن ربما كان ذلك قريبا ان شاء الله

التيجاني يوسف بشير

سلامي الى والدنا محمد بشير والاخ محمد عثمان محي الدين وبلغه عني اني لم اطو ذكره في جوابي لك قبل هذا الا محض نسيان .

ولا تنسى ان تبلغ سلامي ايضا الى الاخ عبد الباقي واحمد عبد المولى وجميع الاهل .

التيجاني

التيجاني

١٩٣٦/١٢/١٥

٢٩ : ١١ : ١٩٣٦م

اخي المحترم الشيخ بخيت محمد بشير

بعد سلامنا عليكم · ارجو ان تكون وصلت معافى من الحمى التي اجهدتك كثيرا · وكان لتاثير هــواء البلد اثــره الحسن معك · ولقد تركتنا في شغل شاغل بك · اما انا فما تزال الحمى معي حتى كتابة هذا الجواب اليك · وقــد قرر الطبيب كما علمت ان ارقد في المستشفي · وكنا نقــدر لذلك يــوم السبت الماضي في حالة اذا كان المستشفي هو مستشفي الخرطوم ولكني عدلت اخيرا الى مستشفي امدرمان · (وغــدا يوم الاثنين ان شاء الله ارقــد في مســتشفى امدرمان) ·

ارجو ان تكون والدتنا عركية بلغــت الصحة · بلــغ سلامنا الى والدنا محمد بشير · وتقبلوا سلام والدكم يوسف بشير والسلام ·

اخــــــوك

التيجاني يوسف بشير

ولا تنسى ان تبلــغ ســلامي الى احمد عبد المــولى وعبد الباقي محمد وكل الاهل ·

الوثائق

ولد ابني احمد التجاني [illegible]
يوم الاربعا الموافق [illegible]
ربيع الاول سنة ١٣٤٣ [illegible]

ولد ابني محمد التجاني [illegible]
الاربعا الموافق ١٤ شعبان
سنة ١٣٤٦

ولدة زينب بنت [illegible]
يوم الاثنين الموافق [illegible] ربيع
الاول سنة ١٣٤٥

تاريخ ميلاد الشاعر كما اثبته والده بخط يده

المشيخة العلمية بامدرمان



.... كما هي مقررة في نظام التدريس منحت الشهادة الاتية لمستحقها من معهد امدرمان العلمي

الشهادة الاولية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله . وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم

وبعد فان الطالب عثمان بن يوسف بن بشير المقيم ببلدة امدرمان التابعة لمركز امدرمان التابع لمديرية الخرطوم قد اتم المدة المقررة لامتحان الشهادة الاوليه وهي اربع سنين وادى الامتحان في العلوم المقررة لهذه الشهادة وهي الموضحة بعد وكانت نتيجته فيها كالاتي

العلوم	توحيد	فقه	نحو	صرف	بيان	سيرة	حساب	ادبيات	خط	م كلى
النهاية الكبرى	٣٠	٤٠	٤٠	٢٠	٢٠	٢٠	٣٠	٢٠	٢٠	
النهاية الصغرى	١٥	٢٠	٢٠	١٠	١٠	١٠	١٥	١٠	١٠	
نمرة الطالب	٢٥	٣٥	٣٨	٢٠	١٧	٤٠	٢٠	٣٠	١٨	٢١٣

وبذلك استحق ان يعطى هذه الشهادة تسجيلا لنتيجة عمله وبموجبها يكون اهلا للاندراج في طلبة القسم الثانوى بالمعهد والله المسؤل ان ينفعه بما علمه ويوفقه لتحصيل ما لم يعلمه

تحريرا في ٩ شهر صفر سنه ١٣٤٩ هـ

الموافق ٥ شهر يوليه سنه ١٩٥٠ م

شيخ العلماء

شهادة مدرسية

حضرة صاحب العــزة الاستاذ الكبير والقــائد الفــذ محمد بك

محمود جلال ·

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد فهذا خطابك الكريم تتداوله الايدى وتلهج به الالسن فشكر شكرا ايها الرجل النبيل والحمد لله الذى وفقك لزيــارة الســودان لتتلمس ما فيه من نواح مجهولة لدى الكثيرين من اخواننا واحبابنا بني مصر الامجاد ، ولو كنت يا صاحب العزة اجبت الاستاد البرير الى طلبته فذلك لان كرم نفسك ونبل مقاصــدك ابى عليــك الا هذا ، ونحن هنا لن ننسى لك هذا الجميل الذى طوقت بــه السودان الذى عرفته واحببته ولو شاء الله لك الزيــارة الثانيــة فستعرفه اكثــر وتحبه اكثر وستعرف نواحي اخرى كثيرة في اخــلاقه واتجاهــاته فان كل بارقة فيه من بوارق الفضل وكل ظاهرة من ظواهر النهوض انما هى قبس من مصر منــار الشرق وحصن الدين ومحط انظــار العرب ايان ما لوا وانى اتجهوا ·

متعنا الله برؤياك ووفقنا وايــاك للعمل الصالح وتقبــل تحياتي وتحيات اخى وابني وجميع افراد العائلة ·

٩ : ١٠ : ١٩٤٢ م

يوسف بشير

والد المرحوم التيجاني

خطاب من والد الشاعر حول نشر ديوان اشراقة

حواشی الکتاب

هـــوامش الكتـــاب

(١) فن الشعر

★ مجرى التفكير في الشعر :

نشر في (مجلة الفجر) ، المجلد الاول ، العدد ١٧ ، ٢٨ فبراير ١٩٣٥ ، ص٧٩٠ وما بعدها ·

١ : هكذا ورد البيت في مقال التيجاني ، وفيه تحريف · وصحيحه كما ورد في تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) لرسالة الغفران كما ياتي :

يا قوم ان الهوى   اذا اصاب الفتي
في القلب ثم ارتقي   فهد بعض القوى
فقد هوى الرجـــل

انظر (رسالة الغفران) لابى العلاء المعري ، تحقيق عائشة عبد الرحمن (بنـت الشاطيء) ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٢١٩·

★ الاثار الشعرية المبهمة :

نشر فى مجلة (امدرمان) ، السنة الاولي ، العدد الثاني ، ٣٠ سبتمبر ١٩٣٦ ، ص ٤٩ وما بعدها ·

★ مشكلة ادبية كبرى بين الناقد والشاعر :

نشر فى مجلة (الفجر) ، المجلد الاول ، العدد ١١ ، اول نوفمبر ١٩٣٤ ، ص ٤٩٧

وما بعدها .

١ : يبدو ان التيجاني يدافع هنا عن استعماله هو نفسه لتعبيـر « رشف الضوء » في قصيدته « قلـب » .

دنيا .. تغيم السماء   فيه ويهمي المطر
ينبوع رى رمـاء   يصدى فيا للقدر
ويح البحور الظماء .   ترشف ضوء القمر

٢ : ـ علي محمود طه ، (الملاح التائه) ، القاهرة ، ١٩٣٣

٣ : ـ حسن كامل الصيرفي ، (الالحان الضائعة) القاهرة ، ١٩٣٤

٤ : ـ المرجع السابق ، والبيت من القصيدة التي جعلها الشاعر مفتتحا لديوانه .

٥ : ـ التيجاني يوسف بشير ، قصيدة (كذلك الحب) .

٦ : ـ اسماعيل باشا صبري : شاعر مصر (١٨٦٦ ـ ١٩٢٣) .

٧ : ـ التيجاني يوسف بشير ، قصيدة (لوعة الغريب) .

٢ : ـ في الشعر السوداني

★ هذا الجزء مأخوذ من كتاب محمد عبد الرحيم (نفثات اليراع في الاب والتاريخ والاجتماع) الجزء الاول ، الخرطوم ، ١٩٣٦ ، ص ٧٦ ـ ٢٢٩ ، وقد اثبتنـا ما تحقـق عندنا أن التيجانى شارك به فى هذا السفر . كما اسقطنا نصوص الشعر التى مثل بهـا لكل شاعر . فقد انحصر غرضنا فى المقدمات النقدية لها (انظر مقدمة هذا الكتاب) .

٣ : ـ في الشعر العربي والاجنبي

★ حول رواية مجنون ليلي :

مقال من جزأين . نشر فى (الجريدة التجارية / ملتقى النهرين) ، العـدد ١٥٥ ، ٢٢ فبراير ١٩٣١ ، والعدد ١٥٩ ، ٢٣ مارس ١٩٣١ .

★ في المستوى الشعري للامم (١) :

نشر في مجلة (الفجر) ، المجلد الاول ، العدد ٦ ، ١٦ اغسطس ١٩٣٤ ، ص ٢٤٥ وما بعدها .

(١) يشير التيجاني الى قصيدة احمد شوقي عند سقوط ادرنة في ايدي البلغار عام ١٩١٢ ومطلعها :

يا اخت اندلس عليك سلام　　　هوت الخلافة عنك والاسلام

انظر (الشوقيات) ، طبعة بيروت الجزء الاول ، ب . ت ، ص ٢٢٠ ـ ٢٣٩ .

(٢) يشير التيجاني الى قصيدة حافظ ابراهيم « اللغة العربية تنعى حظها بين اهلهـا » .

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي

وناديت قومي فاحتسبت حياتي

انظر (ديوان حافظ ابراهيم) ، الجزء الاول ، الطبعة السادسة ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤ .

٣ : ـ لعل التيجاني يشير الى شوقي وقصيدته في رثاء حافظ ابراهيم (ت ٢١ يوليو ١٩٣٢) ومطلعها :

قد كنت اوثر ان تقول رثائي

يا منصف الموتى من الاحياء

قد كنت أوثر ان تقول رثائي

يا منصف الموتى من الاحياء

انظر الشوقيات الجزء الثالث ص ٢٤ .

٤ : ـ لعل التيجاني يشير بهذه التعابير الى الشعراء المصريين الذين عرفوا بها ، وطبعت شعرهم بقاموسها ؛ وتعبير (عبادة النور) مما كاد ان ينفرد به احمد زكي ابو شادي واستولى على مادته الشعرية ، يقول :

هكذا عابد الضياء أغانيه　　　عبير مجنح بالضياء

انظر كتابه (قطرة من يراع في الادب والاجتماع) الجزء الثاني ، القاهرة ١٩١٠ ص ١٢٨ . وفي قصيدة اخرى :

يا شمس لا تاسي على نور مضى　　　النور معبود بكل مكان .

(انظر ديوانه (فوق العباب) ، القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ١٢٩ .)

انظر كتاب الدكتور كمال نشأت (رائد الشعر التجديدي) ، القاهرة ، ١٩٦٩ ص ٣٢٦ ـ ٣٣١ .

ولعل التيجاني يشير الى ابى شادي ايضا في تعابير (اطياف النهر وسحر الربيع وزخرفة الينابيع). فلأبي شادي دواوين تشبه في عناوينها تلك التعابير ، مثل : (اطياف الربيع) القاهرة ، ١٩٣٣ ، و (الينبوع) ، القاهرة ، ١٩٣٤ ٠

اما تعبير (عرائس البحر) فهو مما اذاعه علي محمود طه ، (الملاح التائه) وهكذا ، والا فالتعابير من صميم قاموس شعراء الثلاثينات الذين اصطلح على تسميتهم بالرومانتيكيين

٥ : ـ رابندرانات طاغور ، الشاعر الهندي البنغالي (١٨٦١ ـ ١٩٤١)
وقد زار طاغور مصر عام ١٩٢٨ ، واستقبل بحفاوة ـ وكتب عنه ادباء العصر في السياسة الاسبوعية ، والمقتطف ، وغيرها من مجلات العصر كتابة تدل على انهم رأوا فيه صورة للشاعر الشرقي الذي تفوق على الشاعر الغربي، فكان منحه جائزة نوبل للآداب أتاكيدا لاستمرار روح الابداع الشرقي رغم الاستعمار وتدهور

٦ : ـ محمد اقبال الشاعر الاردوي (١٨٧٣ ـ ١٩٣٨) ٠ ويشير التيجاني الى دراسة الدكتور عبد الوهاب عزام المنشورة في مجلة (الرسالة) المصرية ، المجلد الاول، العدد ١ ، ١٥ يناير ١٩٣٣ ، ص ٢٠ وما بعدها وفيها ترجم الدكتور عزام بعض القصائد القصار عن ديوان اقبال المسمى (بيام مشرق) ٠ اي (رسالة المشرق)٠ وقد اراده الشاعر « جوابا للقصائد المشرقية التي نظمها الشاعر الالماني جوته »

٧ : ـ في الاصل المطبوع (لندنبرغ) ، ولعله خطا في الطبع او وهم ، و (ادنبرغ) كما كانت تكتب احيانا ـ او (ادنبره) هي عاصمة اسكتلندا ، وقد كان التيجاني في ذكر عواصم الادب الاوربي ، ولعلها ارتبطت في ذهنه بما قرأه في العربية عن روبرت بيرنز (١٧٥٩ ـ ١٧٩٦) ، « شاعر اسكتلندا العظيم » ، كما وصفه علي محمود طه في مقدمة تعريبه لقصيدة (الليل الرهيب) The Gloomy Night المنشورة في (السياسة الاسبوعية) المصرية ، المجلد الاول ، العدد ٤٩ ، ١٢ فبراير ١٩٢٧ ، ص ٣ ٠ وقد كتب احمد زكي ابو شادي عن بيرنز في كتابه (مسرح الادب) ، القاهرة ، ١٩٢٨ ، ص ٦٤ وما بعدها ، ورفعه الى مصاف العبقريين ٠

٨ : ـ اتصال التيجاني ببعض الادب اليوناني جاء بالطبع عن طريق قراءة المترجمات ، وما كتب عن هذا الادب في العربية ونعرض هنا ، بايجاز شديد ، بعض ما قد يكون قد وقع للتيجاني من هذا الادب ـ وذلك استنباطا من الفقرة من حديثه التي كتبنا لها هذه الحاشية ٠

نشر سليمان البستاني (الياذة هوميروس) معربة نظما وعليها شرح تاريخي ادبي في القاهرة عام ١٩٠٤ ٠ ولكن لعل طه حسين هو اول من ادخل اليونانيات بصورة منظمة في الثقافة العربية المعاصرة . فقد صدر له ، في العشرينات ، الكتب التالية : ـ

(١) (الظاهرة الدينية عند اليونان وتطور الالهة واثرها في المدنية) ، القاهرة ، ١٩٢٠ ٠

(٢) (صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان) . القاهرة ، ١٩٢٠ ٠

(٣) (نظام الاثينيين) ، القاهرة ، ١٩٢١ ٠

(٤) (قادة الفكر) ، القاهرة ١٩٢٥ ٠

وقد كانت مجلات العصر مثل (العصور) ٠ و (ابوللو) ، و (الرسالة) تنشر مقالات في الادب اليوناني واساطيره ٠ انظر دراسة الاستاذ محمد عبد الغني حسن : (ثقافة اليونان) والرومان واثرها في طه حسين في كتاب : (طه حسين وقضية الشعر) تأليف مجموعة من الادباء الافاضل ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٩١ ـ ٨٠ ٠ وكتاب محمد عبد الحي (الاسطورة الاغريقية في الشعر العربي المعاصر ١٩٠٠ ـ ١٩٥٠ : دراسة في الادب المقارن) القاهرة ، ١٩٧٧ ٠ وفي الاثر اليوناني في تراث الادب العربي القديم ، انظر كتاب احسان عباس (ملامح يونانية في الادب العربي) بيروت ، ١٩٧٧ ٠

٩ : ـ ارجاع اساطير اليونان الى (سذاجة الاطفال) ، هو مما قال به بعض المعلقين الاسلاميين على (بويطيقا) ارسطوطاليس ـ اي : (كتابه في الشعر) ـ يقول ابن سينا :

« ولا يجب ان يحتاج في التخييل الشعري الى هذه الخرافات البسيطة التي هي قصص مخترعة » ٠ انظر كتاب ارسطوطاليس (فن الشعر) : مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد) ترجمة عن اليونانية وحققه نصوصه عبد الرحمن بدوي ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٨٤ ٠ انظر ايضا قول حازم القرطاجني « وكان شعراء اليونان يختلقون اشياء يبنون عليها تخاييلهم الشعرية ويجعلونها جهة لاقاويلهم ، ويجعلون تلك الاشياء التي لم تقع في الوجود كالامثلة لما وقع فيه ، يبنون على ذلك قصصا مخترعا نحو ما تحدث به العجائز الصبيان في اسمارهم من الامور التي يمتنع وقوع مثلها » : (حازم القرطاجني ونظرية ارسطو في الشعر والبلاغة) نشر عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٢٠ ٠

١٠ : محمد عشري الصديق : « سفو » ، مجلة (الفجر) المجلد الاول ، العدد ١ ، ٢ يونيو ١٩٣٤ ص ٤ وما بعدها .

★ في المستوى الشعري للامم (٢) :

نشر في مجلة (الفجر) ، المجلد الاول ، العدد ٧ ، اول سبتمبر ١٩٣٤ ، ص ٢٢٩ وما بعدها .

★ القمر والزهر واثرهما في الشعر العربي

نشر في مجلة (امدرمان) ، السنة الاولى / عدد ٢ / ٣٠ سبتمبر ١٩٣٦ .

ص ٥٢ وما بعدها .

١ : ـ يشير الى قول ابن المعتز في وصف الهلال :

انظر اليه كزورق من فضة　　قد اثقلته حمولة من عنبر

(ديوان ابن المعتز) ، بيروت ، ١٩٦١ ص ٢٤٧)

٢ : من قصيدة ابن المعتز « حث الفراق بواكر الاحداج » .

(ديوان ابن امعتز) ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

٣ : (الارجوزة البستانية) لابن المعتز ، مطلعها :

لى صاحب قد لامني وزادا　　في تركي الصبوح ثم عادا

ومنها :

اما ترى البستان كيف نورا　　ونشر المنثور وردا اصفرا

وضحك الورد على الشقائق　　واعتنق العطر اعتناق الوامق ،

في روضة كحله العروس　　وخدم كهامة الطاؤوس

(ديوان ابن امعتز) ، بيروت ١٩٦١ ، ص ٤٧٢ ـ ٤٨٠ .

(٤) جمع الاستاذ على الجندي من ذلك اصنافا في كتابه (الشذا المؤنس في الورد والنرجس) ، القاهرة ، ١٩٦١ .

وانظر فصل النرجس والورد في (كتاب التشبيهات) لابن ابي عون ، عني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان ، كمبردج ، ١٩٥٠ ص ١٩١ ـ ٢٠١ .

(٥) من قصيدة لابن الرومي في مدح على بن عبد الله ، مطلعها : ـ

يا بن المسيب عشت في نعم　　وسلمت من هلك ومن عطب

وقد جاء البيت في (ديوان ابن الرومي) ، تحقيق حسين نصار ، الجزء الاول القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٤٧ ، كالاتي : ـ

شمس تسامرنا وقد بعثت　　ضوءا يلاحظنا بلا لهب

واثبت نصار في حواشيه قراءة (زهر الاداب) للحصري ، وهي (ظلت تسامرنا ... الخ) . كما ورد عند التيجاني .

(٦) لعل التيجاني يشير الى مثل قوله ـ اى قول علي بن الجهم :

لم يضحك الورد الا حين اعجبه … حسن النبات وصوت الطائر الغرد

بدأ فابدت لنا الدنيا محاسنها … وراحت اراح في اثوابها الجدد

ما عاينت قضب الريحان طلعته … الا تبيـن فيها ذلة الحسد

بين النديمين والخلين مضجعه … وسيره من يد موصولة ليد

(ديوان علي بن الجهم) ، تحقيق خليل مردم ، دمشق ١٩٤٩ ٠

٧ : ـ انظر(يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر) للثعالبي ، فصل (ابو الفضل المكيالي) ، الجزء الرابع ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ب ـ ت ، ص ٢٧٢ وفيه (برزت) مكان (ابرزت) ٠

٨ : انظر (ديوان ابي فراس الحمداني) ، رواية عبد الله الحسين بن خالويه ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ١٤٤ ٠

٩ : ـ انظر(ديوان ابي الفتح كشاجم) تصحيح بعض الافاضل بيروت ، ١٢١١ هـ ٦ ١٠٨ ـ ١٠٩ ٠

(١٠) الرواية في الديوان كالاتي : ـ

كانما مجت دما من نحر … او نشأت في تربة من جمر

(تبين المعاني في شرح ديوان ا ن هاني ء الاندلسي المغربي) تحقيق زاهد علي، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٣٢ ، ص ٣٢٩ ٠

٤ : في الادب والتاريخ

★ القيادة الفكرية :

نشر في مجلة (امدرمان) ٠ السنة الاولى ، العدد الاول ١٥ سبتمبر ١٩٣٦ ، ص ص ٢١ وما بعدها ٠

★ محمد عبد الرحيم : المؤرخ الذى صنعته الثورة :

نشر في مجلة (الفجر)

المجلد الثاني ، العدد ٤ اول اكتوبر ١٩٣٥ ، ص ١٧٤ وما بعدها · وآثار المؤرخ محمد عبد الرحيم موجودة في (دار الوثائق المركزية) بالخرطوم . ومن بينها مخطوطات اعمال ، ما عدا مخطوطة كتابه (نفثات اليراع) ·

التاريخ كما اثبته محمد عبد الرحيم في اول كتابه (نفثات اليراع) هو ١٢٩٥ هـ ، ديسمبر ١٨٧٨ · ولعل ما جاء في مقالة التيجاني خطأ في الطباعة ·

★ ضرورة الوحدة الادبية بين مصر والسودان

نشر في مجلة (الرسالة) المصرية ، السنة الثالثة ، العدد ٨٧ ، ٤ مارس ١٩٣٥ ، ص ٣٤٦ وما بعدها · وللالمام بالمناخ الفكرى الذى كتب فيه هذا المقال انظر كتاب الدكتور ابراهيم الحردلو : (العلائق الثقافية بين مصر والسودان) الخرطوم ١٩٧٧ · وقد حفز التيجاني لكتابة هذا المقال ، كلمة للنائب البرلماني المصرى محمد محمود جلال جاءت في مقالة له ، نشرت في (الرسالة) (المجلد ٢ ، العدد ٨٢ ، ٤ فبراير ١٩٣٥ ، ص ١٧٧) ·

★ في سبيل التعارف الادبي بين مصر والسودان :

نشر في مجلة (الفجر) ، المجلد الاول ، العدد ١٦ ، اول فبراير ١٩٣٥ ، ص ٧٢٤ وما بعدها · وانظر فيه ايضا كتاب الدكتور ابراهيم الحردلو الذى اشرنا اليه في الفقرة السابقة ·

★ المعهد العلمي في ربع قرن :

نشر في مجلة (امدرمان) · السنة الاولى ، العدد الرابع ، ٣١ اكتوبر ، ١٩٣٦ ، ص ١٢٦ وما بعدها ·

(١) انظر كلمة الشيخ ابراهيم يعقوب في مجلة (امدرمان) ، السنة الاولى ، العدد الثالث ، ١٥ اكتوبر ١٩٣٦ ص ٨١ ـ ٨٢ ·

٥ : مقالات وتعليقات صحفية

١ : الصحافـــة :ـ

نشر في جريدة (ملتقى النهرين) . العدد ١٧٧ . ٢ اغسطس ١٩٣١ .

٢ : الادب والفن عندنا :ـ

نشر في (المجلة التجارية) السنة الثالثة . العدد ١٠ . ٢٢ فبراير ١٩٣١ .

٣ : الاجرام في التاريخ :ـ

نشر في جريدة (ملتقى النهرين) العدد ١٩٦٣ . ١٩ ابريل ١٩٣١ .

٤ : تعليقات :ـ

١ : الطلبة هنا ٢ : من جلالة الملك فاروق

نشرا في مجلة (امدرمان) ، السنة الاولى ، العدد الثاني ، ٣٠ سبتمبر ١٩٣٦ . ص ٦١ .

٣ : مندوبو الصحف :ـ
نشر في مجلة (امدرمان) . السنة الاولى . العدد الثالث . ١٥ اكتوبر ١٩٣٦ ، ص ٨٣ .

٤ : الادب القومي والمسرح :ـ
نشر في مجلة (امدرمان) السنة الاولى ، العدد الرابع ٣١ اكتوبر ١٩٣٦ ، ص ١٢٥ .

٥ : الكســـكتـه :ـ

٦: ال فلان وآل علان : ـ

٧: سلحفاة شركة النور :ـ

نشـرت في مجـلة (امدرمــان) . السـنة الاولى . العـدد السادس ٢٠ نوفمبـر ص ١٩٣٦ ، ص ١٨٢ ـ ١٨٥ ٠

٦ · الخطابــات

★ الخطابات موجهة الى الحاج بخيت محمد بشير وهو ابن عم الشاعر ، ويسكن

قرية الكتياب · وهناك خطابات اخر عند بعض اصدقــاء الشـاعر او عند بعض دارسى ادبه كتموها عنا ، ولعلها تنشر يوما ٠

٧ : الوثائـــق

١ : تحتفظ اسرة الشاعر بنسخة الكتاب المذكور ٠

٢ : تحتفظ اسرة الشاعر باصل الشهادة المدرسية ٠

ومحمد محمود جلال : نائب برلمانى مصرى ، بدأت صلته بالتيجانى في خلال مقالة فى مجلة (الرسالة ، انظر الحاشية ٣/٤ ، ٠ وحينما زار السودان عـام ١٩٤٠ ، زار اسرة الشاعر وقبره ، وكتب تقريظا قصيرا بخـط يـده على صـدر مخطوطة ديوان (اشراقة) ٠ وبعد ان تصدى على البرير لطبع الديوان ، كتب محمد محمود جلال مقدمة للطبعة الاولى ٠